PJ 7864 I3328

Riyād, Hinrī
al-Tijānī Yūsuf Bashīr

PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

هنري رياض

# التجاني يوسف بشير

## شاعراً وناثراً

نشر وتوزيع
دار الثقافة
بيروت - لبنان

مكتبة النهضة السودانية - الخرطوم

هنري رياض

# التجاني يوسف بشير

## شاعراً وناثراً

دار الثقافة
بيروت - لبنان

RJ
7[illegible]
I[illegible]

هدفه ، ومن خلال تقديمه لذلك الشعر استطاع ان يسجل آراءه ومفاهيمه للشعر وتستطيع أن ترى ذلك واضحا عندما تقرأ تقديمه للشاعرين الكبيرين البناء والعباسي اذ وصف شعرهما بالصناعة والتقليد وان آثر العباسي بالثناء على صناعته التي قال عنها انها « صناعة مجودة » ... وقد أثار هذا التعليق على تهذيبه ورقته ثائرة كبار الشعراء والمعجبين بهم ، وأرى ان نقاد المدرسة الحديثة اليوم لن يخرجوا عما جاء به التجاني في تقييم الشعر منذ ثلث قرن من الزمان ) .

ولكن يبدو لنا ان الدكتور عبد المجيد عابدين ، لا يميل الى ذلك الرأي ، في كتابه الرائد : « تاريخ الثقافة العربية في السودان ــ الطبعة الاولى ــ ١٩٥٣ » . اذ انه ينسب فصول الادب السوداني الفصيح الى المؤرخ محمد عبد الرحيم . وان لم يغب عن الناقد المحقق الكبير . ان هذه الفصول الاخيرة تختلف عن الفصول الاولى من ناحية العرض والدراسة . وان اسلوبها « اسلوب راق بين الاساليب العربية . ومن اهم ميزاته تدفع عباراته من قوة وهدوء ووضوح .

ولا يخلو اسلوبه كذلك من موازنة تختلط بالعبارة المرسلة » .

مهما يكن من أمر ، وسواء أكان كاتب تلك الفصول هو التجاني ام محمد عبد الرحيم ، فان تعليق الدكتور عابدين يمتاز بالموضوعية والدقة ، اذ يقول في ص ٣٣٩ :

( وبعد الفراغ من دراسة الادب الشعبي الدارج ينتقل الناقد السوداني الى فصول الادب السوداني الفصيح فتختلف طريقة العرض والدراسة ، اذ يكتفي هنا باستعراض نماذج من قصائد الشعراء مع نبذة تاريخية قصيرة عن حياة الشاعر وشخصيته . وفنه احيانا . غير انه في هذه الفصول لا يحلل شيئا من الشعر كما حلل

في الفصول السابقة ، ولا يتعرض بالنقد كما تعرض من ابيات الشعر الدارج .

على اننا لا نعدم تعليقات لها قيمتها في هذا القسم من الكتاب ، كأن يعلق على قصيدة لعبد الغني السلاوي فيصفها بأنها ( الى شعر الفقهاء أقرب ) . ويؤرخ حياة العباسي الشاعر فيقول : « وانا اذ اقرأ له يخيل الي من فرط ما ألمس من مشابه بينه وبين فحول الشعراء اني أقرأ لشاعر وشاعر مجيد من شعراء القرن الثالث الهجري يوم انصقلت الاساليب الشعرية ويوم صعدت بها صناعة المولدين الى مستوى كل موسيقي وسحر وفتون » .

وبعد ان يستعرض من ( ٧٦ ــ ٢٠١ ) نماذج من الشعر السوداني الذي يلمح فيه خصائص تقليدية واضحة ينتقل من ٢٠١ الى ٢٣٣ ليسرد لنا نماذج من الشعر يرى فيها أو في معظمها ما يمثل اتجاها جديدا فيروي شعرا لعبد القادر ابراهيم ومحمد سيد احمد وعبد الغني مرسال وحسن نجيله والتجاني يوسف بشير .

وهو يصف هذا النوع من الشعر بقوله :

« ولهذا النوع من الشعر انصاره الكثيرون الذين يروجون له ، ويدعون اليه ، وهو يتطلب نفوسا غريبة الوضع غريبة التكوين مزودة بنوع خاص من الاعصاب مهيأة الى تلقي الآثار الخارجية بقدر محدود . وفي الغرب تقوم دولة هذا الشعر الطيفي على ارسخ أعمدة من الالفة والاعتياد ) .

مقالات « كشف الستار » :

رغم تواتر الرواية على ان سبب فصل التجاني من المعهد ، هو ما نفوه به أثناء مناقشته مع بعض زملائه فيما يتعلق بأفضلية شعر شوقي على حافظ ، على ما سبق ذكره في الفصل الثالث ،

ونظرا الى الاثر العميق في نفسية التجاني ، الذي ترتب على فصله وعدم مواصلته لدراسته ، على ما وردت الاشارة اليه في اكثر من موضع ، فقد بدا لي انه من الجائز ان تكون ثمة أسباب خفية دفعت شيخ المعهد وقتئذ المغفور له احمد ابو دقن ، الى فصل احد تلاميذه ، وقد كان له من ثقافته الدينية والفقهية ما يحول دون التسرع في الامور ، بل تقليبها على جميع اوجهها ، والاهتداء باصول وقواعد الاثبات في جميع القضايا ، سواء أكانت منطقية أو ادارية او قضائية او شرعية ، لذلك ، لما قرأت مقالين بعنوان « كشف الستار » في العددين ٢١و٢٣ بمجلة النهضة السودانية ـ اذ لم اعثر على العدد ٢٢ ويبدو ان المقال الرابع لم يتح له النشر لشدة ما لقيته المقالات من نقد ـ خيل الي انني وضعت يدي على سبب فصل شاعرنا من المعهد .

والاسباب التي اعتمد عليها في الادعاء بان المقالين المذكورين هما بقلم التجاني ، تتلخص فيما يلي :

١ ـ رغم ان المقال غير موقع عليه باسم معين الا ان كاتبه وقع بالحرف أ ... وهو اول اسم الشاعر ( أحمد التجاني ) .

٢ ـ لقد دأب التجاني على نشر بعض قصائده دون توقيع ومن بينها القصيدة التي مطلعها ( لم لا يغذينا الهوى بلبانه ) وقصيدة « الروح » ، على ما سبق ان رأينا في الفصل الثاني ، ولذلك ليس من المستبعد ان يكون التجاني قد مال الى الكتابة نثرا دون توقيع اسمه كاملا .

ومما يؤكد ذلك أيضا ، ان التجاني ، قد نشر بعض قصائده في مجلة ام درمان عام ١٩٣٦ ، دون ان يوقع اسمه عليها ، حتى بالحرف الاول منه ، وكان وقتئذ شاعرا طائر الصيت .

٣ ـ ان اسلوب المقالين يشابه الى حد كبير اسلوب نثر التجاني ،

على ما سنفصله فيما بعد ، وعلى ما يبين من منتخبات نشره أيضا

٤ ــ كان التجاني في عام ١٩٣٢ لا يزال طالبا بالمعهد . فهو ، والحال هذه . لم يكن في موقف من يمكن له توجيه هجوم عنيف مباشر على بعض اساتذته. لان ذكر اسمه كان يعني مواجهة مزيد من المتاعب والمشاكل بالنسبة له ، مما جعله مترددا في الكتابة المرة بعد الاخرى .

هذا من ناحية. ولان التجاني كان يعمل بمجلة «ملتقى النهرين» التي كان بينها وبين « النهضة السودانية » منافسة خفية . لم تكن لديه الحرية الكاملة في الكتابة ، ولذلك لربما استشعر بان الكتابة في مجلة ادبية اخرى ، قد يعني تشجيعا لصحيفة منافسة . ومن ثمة كان من الطبيعي ــ على ما اعتقد ــ أن ينشر في النهضة نثرا أو شعرا ــ دون ذكر اسمه ــ اذ انه لم يترك مجلة في عصره دون ان يكتب فيها .

واذا اخذنا في الاعتبار ان زميليه عبد الوهاب محمد القاسمي والهادي العمرابي ، كانا يلقمان تلك المجلة بمقالاتهما وقصائدهما ، وان المنافسة الحادة التي كانت بينهم . دفعت كلا منهم للادلاء بنثره وشعره في كل معترك صحفي أو أدبي . وان التجاني لم يكن ممن يقبلون ترك المجال دون نزال ، فان من الطبيعي . والحال هذه . ان ألقي بدلوه من الدلاء .

٥ ــ ولان ما جاء في « كشف الستار » ، قد يعتبر ردا على مقال كتبه الشيخ أحمد ابو دقن ، في مجلة النهضة ( العدد ٦ بتاريخ ٨ــ١١ــ١٩٣١ ) ، وجاء فيه :

( .. فاننا نؤمل خيرا متى كانت هذه النهضة نهضة افعال لا أقوال نهضة ايمان لا الحاد ..

اطلعت على العدد الاول من مجلة النهضة السودانية فتجاذبني

عاملان عامل السرور لخروجها من حيز القول الى الفعل ..

أما العامل الثاني فلا شك ان عامل حزن نشأ اولا من وضع حجر اساس هذه النهضة على التفرق بين من سموا انفسهم بالشباب الناهض واطلقوا على غيرهم من افراد الامة الشيب أو الناهضين والرجعيين والى غير ذلك مما كنت اسجع به ولم اتحقق وجوده الا من اول عدد في النهضة السودانية يحوك في صدور الشباب وتلوكه السنتهم وتمضغه افواههم والنهضة لا تكون بافراد يحصرهم العد ويحيط بهم الحد بين مجموع الامة .. )

٦ ــ ولان ما انطوى عليه المقالان ، يعبر عن آراء مماثلة تماما لآراء التجاني وعن عواطف كانت تحتدم في نفسه ، اذ يتلخص مقاله الاول فيما يأخذه على بعض العلماء من انتصار لكل قديم بال « فمن آراء التفكير الحر أو حتى الشبيه بالحر عدوه ملحدا ومن نانشهم فكرة أو أبدى لهم رأيا قالوا عنه « انه قليل أدب »، ويتلخص مقاله الثالث في الهجوم على سلوك التلميذ الخامل الذي يخضع لآراء معلميه « كأنما هو في حضرة انبياء مرسلين لا بشر مثله يخطئون ويصيبون .. » ثم يشيد بموقف الشاب المتطلع للحياة الراغب في تغييرها وتطويرها المتمسك بمثل واهداف يرغب في تحقيقها ، وكأني بالتجاني كان يعني نفسه .

وعلى هذا ، فان كان ما انتهينا اليه من قول ، بان المقالين المذكورين هما للتجاني ، دون غيره ، ردا على الشيخ أحمد ابو دقن ، وانهما اثارا نقدا شديدا لدى الكتاب الآخرين مثل المرحوم احمد يوسف هاشم ، بل لم يعدم نقد محمد عرفات عن الله نفسه، فاننا نستطيع ان ندرك لماذا اندفع المغفور له احمد ابو دقن لدى تحقيقه مع التجاني بمناسبة تفضيله شعر شوقي على حافظ ،

الى قرار فصله . وقذف به بعيدا عن رحاب المعهد، والى بحر الحياة اللجي المتلاطم الامواج .

ولذلك كله ، فاننا نرى ان نثر التجاني يحتاج الى عناء للبحث عنه ، في المجلات ، والجرائد القديمة . لانه لم يكن يوقع باسمه ، في كل مقالة يكتبها .

ثانيا : نثر ملتزم :

اذا كان الالتزام في الادب يعني ان يكون للكاتب أو الشاعر رأي واضح ومحدد في المشكلة التي يعرضها في المقالة أو القصة أو المسرحية أو القصيدة ، فاننا نميل الى القول بأنه كان يتعذر الالتزام وقتئذ على الاديب أو السياسي ، نظرا الى ان الاتجاهات الادبية والسياسية لم تكن واضحة او محددة في اذهان الكتاب أو الناس ، ولان الاستعمار كان قد سلط قنابله ورصاصه ، على ثوار بلادنا عام ١٩٢٤ ، وسجن ونفي وشرد مئات المناضلين ، الذين لم يجدوا سبيلا للرزق الا بشق الانفس . بل لم يكن المناخ السلمي والثقافي مناسبا لتسديدها ، بحيث يصعب على الباحث الحكم على أديب أو شاعر معين بالتزامه بمذهب أدبي أو سياسي أو فلسفي .

وليس معنى ذلك ان الادب لدينا كان يدور في فراغ ، أو انه كان من غير هدف ، أو انه كان بعيدا عن مشاكل المجتمع الاقتصادية والسياسية . بل ان الادب وقتئذ كان تعبيرا في الواقع من الامر على رفض المجتمع القديم ، ومعارضة للاوضاع البالية السائدة ، وحربا ضد الاستعمار نفسه ، ورغبة في تغيير ظروف المجتمع بغرض تحقيق كثير من مظاهر التقدم والاصلاح والتطوير ، وبعبارة اخرى ان الادب كان يمثل في الاربعينات . وجه الفلسفة

اليسارية وفق المفهوم الحديث . وكان لسان القوى الثورية للشعب المناضل .

ولكن لما كان التعليم الذي يتلقاه الفرد تعليما يعتمد على الادب من ناحية ، وعلى الدين من ناحية اخرى ، فقد كان من الطبيعي ان يترسم الاديب خطى الادباء القدامى وينهل من ينابيع الفلسفة القديمة . ويميل بالتالي ، الى الافكار المجردة . ومن ثمة كثرت المذاهب والحلول التي ينادي بها كل ناثر أو شاعر . وكان يخيل لكل واحد منهم انه يمكن الاصلاح اذا نادينا بالتمسك بالاخلاق أو بنشر التعليم أو الاهتمام بالصحافة أو اصلاح الزراعة أو تطوير الصناعة أو حرمان الاجانب من التجارة أو اصلاح الحكم المحلي مثلا ، ولكن انطوت آراء كل منهم على المثالية .

لذلك كله . كان من الطبيعي ان يكون التجاني مثاليا في تفكيره. وان يصطبغ نثره بالنزعة المثالية مثل غيره من رواد النهضة الفكرية في السودان .

ويقول الدكتور عابدين في كتابه « تاريخ الثقافة العربية في السودان » في هذا المعنى . في صفحة ١٦٣ :

( ظهرت النزعة المثالية في كتابات الجيل الماضي . فاكثروا من التحدث . كما عند عرفات ومحجوب ومحمد عشري وعبدالله عشري ، عن الحق والخير والجمال . وعرفوا الناس بهذه المثل . ودفعهم عدم الرضا بالحياة السودانية المادية . حينئذ الى ان يلجؤا في بيان عيوب التعلق بالمادة والشره على حكام الدنيا ..

ولم تقف الدعوة الاصلاحية عندما سبق ذكره، بل عنوا بابراز الصفات الخلقية السودانية وتصويرها بخيرها وشرها . حتى يتمسك الناس بالحسن المقبول منها . كما بينوا لهم مثلا عليا .. واعتزوا بالاخلاق العربية . وشادوا بها كالكرم والمروءة

والنجدة . ومراعاة الجار واحترام العرض ..

على ان الرواد لم يترددوا في ابراز العيوب والدعوة الى التخلي عنها .. )

ولم يذكر الدكتور عابدين اسم التجاني من بين الرواد. ولكني أرى ان التجاني كان احد اوائل الرواد ، ذلك لانه كان يمتلك المقدرة على التعبير عن المشاكل الاجتماعية والادبية نثرا وشعرا ، ولانه شارك بمقالاته الادبية في كل صحيفة او مجلة صدرت اثناء حياته . بل كان من أوائل من يحتفون بصدور المجلات في عصره ، ولانه دأب على جمع نماذج من أشعار معاصريه . لكي يضمها كتاب واحد ، دون ان يأبه ان نسب اليه أو الى غيره ، على ما سبق ذكره .

ولان التجاني كان جادا الى أبعد حدود الجد، فمنذ عهد الدراسة، وهو يدبج المقالات للصحف . وينشر شعره في المجلات . على ما سبق شرحه في هذا الفصل والفصول السابقة. ولان القضايا التي اهتم بها التجاني ، هي القضايا التي اهتم بها معاصروه من الرواد الاوائل .

ويكشف مقال التجاني ( والقيادة الفكرية ) ، عن وعيه بمعنى الالتزام بمذهب معين ، اذ نعى على المثقفين في بلادنا. عدم ايمانهم القوي بمذهب من المذاهب الفلسفية أو الادبية ، الى الدرجة التي يكرسون فيها حياتهم في سبيل الترويج له بين افراد الشعب . بهدف تطوير حياتنا الى أفضل . ويؤكد المهمة الملقاة على المثقف الملتزم حين يقول عام ١٩٣٦ :

( والكاتب ان لم يغن في الحياة ويدن الى الامة فيما يحمل لها من صور وآراء ويضع فيها نفوذه الشخصي وايمانه وحريته ودم قلبه وآثار روحه في صدق التبيين واخلاص المجاهدين قاصرا كل

قواه على ان يثير فيها من الشؤون والافكار ما هي مؤمنة لا محالة ، عاملة له من غير تردد ، فانه لن يكون في انتاجه الا منسيا ضائعا ابدا مستنفدا جهده في غير طائل من ذكرى أو أثر .

ورغم التشاؤم الذي يحمله مقاله ، الا انه اختتمه بروح عميق من التفاؤل ، اذ يقول :

( ولكن مع هذا ، فلا بد لنا من قيادة فكرية محلية ترفع فينا الحياة وتبعث فينا القوة وتروضنا على حرية الفكر وتسلك بنا في حياة ادبية رافهة الصور مملؤة بالسحر والفتنة والجمال . )

ولم يكن الشعور بالالتزام جديدا على التجاني ، بل انه أحس به ، منذ بلوغ رشده ، ذلك لانه كتب مقالا في ٢٢ـ٢ـ١٩٣١ . بعنوان « الادب والفن عندنا » ، جاء فيه : ( على ان الاديب من استطاع ان ينظر الى الحياة بعين المتعبر الواقف على دقائقها ومشكلاتها . أجل هو الذي ينظر اليها بعين العلم وتنظر اليه بعين الاجلال .

هذا هو الاديب حقا . أما الحقيقة الناصعة فان الادب عندنا متأخرا جدا .. )

ولا يعني الشعور بالتأخر أو القلق أو التمرد أو الثورة التي يكون للانسان نزعة مدمرة ، بل يعني مثل ذلك الشعور في كثير من الاحيان بان للانسان نزعة ثورية لتغيير الاوضاع أي الى تغيير حياة النّاس ـ وحياته ـ الى أفضل .

واذا استقر في اذهاننا ان وجدان التجاني كان اجتماعيا ، وان شعره مثل نثره يعبر عن تمرده وثورته على كثير من الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والادبية والسياسية ، فانه يمكن القول بان التجاني كان اديباملتزما وفق المعنى العام للالتزام ان المعنى الذي يفصل بين الانسان الذي يقف في مسار او تيار اليسار اي

التقدم وتغيير الحياة والعمل لصالح الجماعة والقضاء على استغلال الانسان للانسان . وبين من يقف بجانب اليمين الى الجانب المحافظ على الاوضاع القائمة دون رغبة في تغيير او اصلاح جوهري أو جذري.

واذا اخذنا في الاعتبار صعوبة الالتزام حتى في النصف الثاني للقرن العشرين ، اذ لم ينقسم العالم الى نظام رأسمال من ناحية ، ونظام شيوعي من ناحية اخرى فحسب ، بل سادة كل نظام من النظامية الرئيسية فلسفات ومذاهب شتى ، واكثر من ذلك سار وجه العالم كتلة ثالثة ذات خصائص مميزة الى حد ما ، وقد بدأت النظريات والمذاهب فيها تتصارع وتتعارك بعد ان قطعت شوطا لا بأس به في ممارسة الاشتراكية، ولذلك، فان المواطن في السودان، وفي البلاد العربية ، لا يضع قدميه على ارض فكرية صلبة أو واضحة ، كما لا يجد أمامه نظرية واضحة محددة ، ومن ثمة نجد كثيرا من الاتجاهات والمذاهب والبرامج الحزبية ، كلا منها يدعى الاشتراكية او الديمقراطية ، ولكن نظرا للتعميم الذي يسود صياغتها ، وعدم تحديد الطرق العملية لممارسة الاشتراكية، فان المواطن يجد نفسه في حيرة شديدة بل في قلق يكاد يماثل قلق ابناء النصف الاول من القرن العشرين .

ولكن ثمة فارق هام بيننا وبينهم ، اذ بينما كان رفض المجتمع القديم والثورة عليه والعمل على طرد الاستعمار يعتبر التزاما وايجابية من جانب المواطن ، الا ان ذلك كله لا يكفي للالتزام في الوقت الحاضر ، بل يتوجب على الانسان ان يكون له موقف محدد ايجابي من مشاكل وطنه بل مشاكل عصره جميعها ، بشرط ان يقصد بذلك تغيير مجتمعه بل تغيير العالم الى افضل ، وبشرط ان يهدف للقضاء على استغلال الانسان للانسان . ولا يكون ذلك الا عن طريق اتباع وسيادة الملكية العامة للاشياء ، والقضاء على

النظام الرأسمالي، وتخطيط الاقتصاد الوطني تخطيطا اشتراكيا.

**ثالثا : دلالة نشره :**

لنشر التجاني دلالات ثقافية واجتماعية .

ويدل نشر التجاني على ايمانه العميق في أثر الثقافة على تطوير بني البشر وتغيير المجتمع .

وكان ذلك الايمان هو الواقع الاول ـ في نظري ـ الذي جعله يتمسك بالكتاب في امهات المجلات تطوعا ، ودون مقابل . بل ان ما كان يكتبه في الجريدة التجارية وملتقى النهرين ثم من النيل ، لم يكن مما يتقاضى عنه أجرا ، لان عمله الرئيسي هو التصحيح فحسب ، على ما سبق ذكره مرارا .

وبذلك فان سلوك التجاني . منذ بلوغه الرشد . يثبت خصب حياته وايناعها ، ويؤكد انه كان رجلا جادا هادفا . وانه لم يكن يندفع وراء الاصلاح لمنفعة ذاتية . بل كان يرغب في ان يعم النفع كل مواطنيه .

ورغم ان مقاله « الصحافة » ( ملتقى النهرين ـ العدد ١٧٧ ـ ٢ـ٨ـ٣١ ) يكاد يشبه مناجاة مصطفى كامل لمحبوبته مصر. تلك المناجاة القلبية الغنائية ، الا انه انطوى على فقرات هادفة ، اذ يقول :

« للصحافة اليد الطولى في تغيير مجرى الحياة ومجريات الحوادث والافعال ولها اكبر الاثر في حياتنا الحاضرة .

ويدل بحثه « في المستوى الشعري للامم ( الفجر ـ العدد ) على الم واسع بآفاق الشعر في كل بلد عربي ، وعلى اطلاع جم على اكثر ما ترجم من اشعار الغرب ، كما يدل على ملاحظاته الدقيقة

للتفرقة بين الاتجاهات الشعرية العامة بين الامم المختلفة ، كما يدل بحثه « البدر والزهر فى الشعر العربي (ام درمان ــ العدد) ، على تذوقه واستيعابه للشعر العربـي ، فى مختلف عصوره ، ولشعر الطبيعـة بوجه خاص ، كما يثبت مقدرته عـلى رواية الشعر ، اذ اقتطف في ذلك المقال ، بعض اشعار ابن المعتز وعلي بن الجهم وابي الفضل المكيالي وابن هاني ، وهو يكتب على ضوء القمر ، دون الرجوع الى ديوان او كتاب ، على ما يبين من سياق الحديث .

ورغم ان مقالاته « حول رواية مجنون ليلى » (الجريدة التجارية ــ العدد ١٥٩) . لا تنطوي على نقد جوهري للرواية الا انها تدل على مدى اهتمامه واستيعابه لجميع وقائعها ، وانفعاله واعجابه بها ، كما تنهض دليلا على شجاعته الادبية ، اذ لم يخش ان يجاهـر بالنقد، وان بدا عليه التردد فيأول الامر. ولنشره دلالات اجتماعية أيضا .

فلقد هدف في مقاله « المعهد العلمي » ( ام درمان ــ العدد ٣ ) الى الدعوة الى كتابة تاريخ للمعهد العلمى بصفة خاصة . ولتاريخ السودان بصفة عامة .

ويدل مقاله « الادب والفن عندنا » ( الجريدة التجارية ــ العدد ١٥٥ ) على رغبته في تطوير الآداب وفن الغناء لدينا ، كما يدل التعليق الذي نشره بمناسبة تشجيع التمثيل في السودان ، لدى قيام فرقة « فريق العمدة » بتمثيل رواية « فتاة المستقبل » عام ١٩٣٦ ، لمؤلفها الاستاذ حامد احمد سليمان ، على رأيه التقدمي، وتقديره لاثر التمثيل في النهضة وتربية النشء ، والدعوة الى تعليم الفتاة بجانب الفتى .

وينهض مقاله القصير عن « سلحفاة شركة النور » دليلا على

اهتمامه بشكاوى الجماعة ، وعلى ايمانه بوجوب مطالبة الفرد بحقوقه ، اذ يقول فيه :

( فالى متى نحن صامتون على هذا ايها الناس !

افليس ثمة من عمل حاسم ترغم به هذه الشركة على أن تعدل من خطتها هذه وتعنى براحة هؤلاء الركاب الذين لا يغادر الواحد منهم الترامواي الا بعد ان يلعنه في نفسه الف لعنة .

على ان هذه الراحة هي حق من حقوقهم التي يجب أن تتوفر لهم فاذا غمطتهم الشركة هذا الحق ، فلانها تستغل حاجة الناس واضطرارهم اليها فيالغالب. والمضطر كما يقولون يركب الصعب».

لكل هذا ، نرى أنه نظرا لقصر عمر التجاني ، ولاهتمامه البالغ بشعره ، لم يجد التجاني متسعا من الوقت أو الراحة للقيام بدراسات عميقة سواء في المجال الادبي او الاجتماعي ، ولكنا اذا نظرنا الى المواضيع التي تناولها ومحاولاته التعبير عن آراء عامة في بعض مشاكلنا الاجتماعية ، لتبين لنا انه كان في نثره هادفا ومناضلا ومجددا . وليس مما يقلل من شأن ابحاث التجاني ومقالاته ، انها كانت موضع خلاف بينه وبين بعض معاصريه ، كما لا يقلل من شأنها ان تكون على خلاف بعض الآراء السائدة في النصف الثاني من القرن العشرين، بل لعله مما يذكر له بالفخر ان بعض مقالاته كانتولا تزال تثير النقاد الذين عاصروه والنقاد المحدثين أيضا .

**رابعا : أسلوبه :**

اسلوب التجاني في النثر اسلوب رصين واضح قوي ، بل انه يبلغ حدا فائقا من الجمال في بعض الاحيان ، كما يتضح ذلك في مقال « القيادة الفكرية » .

ولم يلجأ التجاني الى الاسلوب المسموع . بل كان يرسل نفسه على سجيتها ، دون قيد أو التزام .

وكان للتجاني مقدرة فائقة في الاستشهاد بالشعر في سياق الحديث ، وببعض مأثور الكلام من نثر او شعر ، وهي طريقة لم يتفرد بها ، بل كانت عامة بين معاصريه نتيجة تأثرهم بالثقافة العربية القديمة ، وتأثرهم ايضا بكتابات أشهر ادباء مصر ولبنان ، مثل طه حسين والمازني والرافعي والمنفلوطي وجبران ونعيمه واسماعيل مظهر وسلامه موسى وغيرهم .

ولذلك ، فان نثره يدل على سعة ثروته اللغوية ، مثلما يدل على ذلك شعره ، وان كان كلا منهما لم يخل من غريب اللفظ والعبارة .

وحيث ان من المسلم به ، ان لكل ناثر أو شاعر اسلوبه في الكتابة أو النظم .

لذلك ، اذا نظرنا الى معاصريه وطرائقهم في الكتابة ، فاننا نرى ان التجاني كان ذا اسلوب بليغ ، مثل اساليب المغفور لهم عرفات محمد عبدالله وابي بكر محمد عليم واسماعيل فوزي ومحمد عباس ابو الريش ، والهادي عثمان العمرابي وعبد الوهاب محمد الناضي . كما يشابه اساليب عبدالله عشري الصديق ومحمد الصديق والمبارك ابراهيم ومحمد احمد محجوب ويحيى عبد القادر ويوسف المأمون وخضر محمد ويحيى الفضلي ويوسف ابراهيم النور .

ونحن نأمل من نشر منتخبات نثره ، ان تكون دافعا للادباء لدراسته دراسة وافية ، والعمل على جمع ونشر النثر والشعر المغمور للرواد، اذ لا بد ان يشق مثل ذلك الادب طريقه الى النور، لكي يكون تراثا لابناء هذا الجيل والاجيال القادمة .

## الفصل الثاني عشر

## منتخبات من نثره

## الادب والفن عندنا

( نشر بالجريدة التجارية في العدد ١٥٥ ـ السنة الثالثة في ٢٢ـ٢ـ١٩٣١ ) .

يكاد ينحصر الادب عندنا في الكتابة وانشاء المقالات التي لا جديد فيها غير تنميق الالفاظ والنعي على حاضر البلاد ومستقبلها واذا فحصت المراد منها خرجت من مقدماتها بغير نتيجة تفيد القراء لا في الاجتماع ولا في الاخلاق ولا في الاصلاح النفسي ومثل ذلك كل من يقرض الشعر الغير الناضج .

فلا تكاد ترى روح الشاعرية التي تعبر عن الاحساس الدقيق وتمثل العواطف المستكنة في روح الشاعر فضلا عن خلوه من المعاني التي تحوي شيئا من الجديد غير المطروق وانما هو خيال بارد والفاظ متنافرة هي الى التقليد اشبه منها بالمبتكر ومع ذلك يظن نفسه اديبا وشاعرا محلقا .

على ان الاديب من استطاع ان ينظر الى الحياة بعين المتبصر الواقف على وقائعها ومشكلاتها اجل هو الذي ينظر اليها بعين العلم وتنظر اليه بعين الاجلال هذا هو الاديب حقا اما الحقيقة الناصعة فان الادب عندنا متأخر كثيرا ولا يؤاخذنا الشعراء والكتاب الذين اوقفوا انفسهم على النثر والشعر في تلك المواضيع غير المجدية التي لا تشرئب اليها النفوس المتطلعة الى المدنية الحديثة والظامئة

الى مناهل الادب الراقي واذن فالادب عندنا لم يتقدم الى الامام كما تقدم في البلاد الاخرى واما الفن فلسنا منه في شيء البتة ولكن الى اي شيء نعزوا تأخرنا ؟

أالى عدم صلاحيتنا لتلقي الادب والفن ام الى عدم صلاحيـة بلادنا من ان تكون ادباء نابغين وفنانين ماهرين كما كونت البلاد الناهضة .

ونستطيع ان نرجع هذا التأخر الى عدم تشاغلنا بهما والسعي وراء ما يرقي افكارنا ولا اقول متشائما ان السبب عدم صلاحيتنا لاننا معشر السودانيين نسنا بقاصري الافهام والمدارك كما اننا لسنا بالامة الجامدة التي تابى الطبيعة منحها ما منحت به سواها وانما يعوزنا الاقدام والمثابرة على الاقتباس والاخذ بكل ما هو جديد ممتع ولذيذ ولدينا من الوسائل الكثيرة ما يحقق آمالنا .

هنا يقف الانسان حائرا ويذهب به التفكير كل مذهب ثم يعود وليس معه الا ان ينادي بان هبوا معاشر السودانيين ودعوا ما انتم عليه من تواكل حتى تنهضوا ببلادكم الى المستوى الاعلى من الآداب والفنون كما تحتفظ جاراتكم من البلاد بكمية صالحة من رجال الادب والفن النابغين .

اما اغانيكم التي ملأتم بها اسطواناتكم فانها جوفاء بعيدة كل البعد عن اغاني الامم الحية ومثلها صنائعكم كالاطباق التي تصبغونها بالطلاء و ( كالجبنات ) الي ترصعونهـا بالسمك ( السكسك ) وكالاحذية والمحافظ الجلد المنقوشة بتلك النقوش البسيطة التي لا يعز على قليل الادراك عملها وقس على ذلك اغلب مصنوعاتكم التافهة التي أقمتم لها المعرض كانها من الفنون الجميلة ؟

ولا أنسى ذلك اليوم يوم المعرض ولا أنسى ما فيه من خرافات

القرون البائـــدة ممثلة فيه بسذاجتنـــا وبلاهتنا وقصر ذوقنـــا الفني ؟؟

واذا اعدنا الكرة في الكلام على توقيع اغانيكم والحانها لا نجد ما نمدحها به غير الضجة والنبرات الجافة ولحن الاعراب في ابياتها الموضوعة باللغة الدارجة التي لا يفهمها الا عوامنا .

ولا أجد لهذه الفوضى الا اننا اهملنا هذا الفن الى من لا يحسن اجادته من الذين لم يهذبهم العلم وبالطبع لم يكن لهم الملم بالحان الغناء وتوقيعاته الموسيقيةالتي تأخذ بالنفوس بدلا منتصديعها ولقد كانت اسلافنا العرب تنشيء الاغانيولكنها فيقالبمن بلاغة العربية وتراكيبها واوزانها واما مغنيوا بلادنا فهم طائفة منعشاق الرقص والخلاعة التي مضى عليها مئات السنين لم تتقدم خطوة من الرقي الى الامام وليس ثمة من كتب يرجعون اليها ويسيرون على اسلوب تعاليمها والشيء اذا لم يكن له أساس كان حليف الفوضى والاضطراب فهل يفطن مواطنونا الكرام الى تنظيم تلك الاغاني على طريقة ترفع مستواها ؟

اني لا اعرف استاذا من الطبقة التي تغار على هذا الفن وكثيرا ما سعى الى تهذيبه ولـه في ذلك القصائد الجمة التي لا تقل عن الشعر العربي متانة ورقة مصبوبة في قالب من اللفظ العربي الصحيح المبني على السهل الممتع ولا ابخل عليك سيدى القارىء بذكر اسمه كما اني لا اخالك تجهل الاستاذ حسين منصور .

وفي الختام اضرع الى متعلمي الوطن ان يكونوا كلهم يدا عاملة في رفع بلادهم الى مصاف البلاد الراقية وانزالها المحل اللائق بها من الفنون والآداب والذوق الانشائي والشعري حتى نصبح امة ولها مكانة من آدابها وفنونها .

## حول رواية « مجنون ليلى »

### (١)

( نشر بالجريدة التجارية بالعدد ١٥٩ في ٢٣ ـ ٣ ـ ١٩٣١ )

لم يكن الادب العربي منذ بدء عصره الاول حتى عصرنا هذا الا ثوبا فضفاضا تخطر فيه العربية ولكنه ـ ويا للاسف ـ خال من كل وشي وتنميق : ولم يكن الا ذلك الثوب الذي ابدع في حياكته الاقدمون بفضل مالهم من قدرة على ذلك .

بيد انهم لم يعملوا فيه يد الفن ولم يرسموا عليه صورة الجمال .

واستمرت العربية تخطر في ثوبها هذا زمنا لا يقل عن خمسة عشر قرنا حتى حان وقت تنميقه ووشيه .

وحتى اتاحت لها الظروف من يقوم بهذا العمل الجليل ويمسك بثوبها الضافي ليضع فيه وحيا الفن والذوق السليم .

انها لظروف حسنة تلك التي قيضت لها من يحس بحاجتها الى مظهر يكون له فعله بعواطف الانسان . الى مظهر لو قدر للعربية ان تظهر به يوما ما لما انصرف اكثر ابنائها الى الادب الغربي ولما استعذبوا مورده ومرعاه بينما يسيل ماؤها عذبا رقراقا نميرا .

ويبدو نباتها مجتثلا اخضر تنضوا عليه الطبيعة كل ما لديها من جمال وبهاء .

اقول انها لظروف حسنة تلك التي اهابت بأمير الشعراء ان

اقبض بيراعك وضع زهرة تلو اخرى من ذلك الثوب حتى لا يبقى ثم من لراق .

ولم يلبث أمير الشعراء الا ان هب وامسك بيراعه حتى اخرج الزهرة الاولى على ذلك النمط الغربي اللذيذ تلك هي رواية «مصرع كليوباترة » وحتى اتبعها بشقيقة لها ربما حلت الصدر من ذلك الثوب البديع .

وتلك هي رواية « مجنون ليلى » وحسب القارىء وصفا لمبلغ هذه الرواية من الاهمية ذلك العنوان الذي يكاد يكون ناطقا بكل ما كان بين هذين الحبيبين من حب وغرام اقصى ما استطاع ان يفعله بهما هو الموت من طريق البعد والاقصاء .

بعد ان فعل ما فعل بقيس وجر ما جر لليلى ... وكم يكون المؤلف مبدعا في هذه الرواية بل في هذه الفاجعة الغرامية .

وكم يكون فنانا في ترتيبها الذي اوشك ان يكون سماويا لم تتحكم فيه يد البشر .

وما من احد الا ويدين بما لشوقي من قدرة على تصوير العاطفة الغرامية في ارحم ثوب واقساه وكان شعاعا الهيا قد اتصل به حتى جاء بما ليس للبشر اليه من سبيل .

انظر اليه وهو يمثل الحب في ابهى ثوب تهيمن عليه القداسة والجلال في قول ليلى :

يعلم الله وحده ما لقيس ... من هوى في جوانحي مستكن
انني في الهوى وقيس سواء ... در قيس من الصبابة دني
انا بين اثنتين كلتاهما النا ... ر فلا تلمني ولكن اعني

## حول رواية مجنون ليلى

### (٣)

( نشر بالجريدة التجارية )

اراني حينما اقف امام « شوقي » لآخذ عليه بعض ما يقوله لكالذي يتطاول ما يقصر عنه المتناول .

وما كان لي ان اقول لولا منزلة « شوقي » من قلوب الناس وموقع شخصيته من افئدتهم اجمعين .

ولكن وانا اعلم ان للحقائق وانصافها قوما لم يذهبوا بعد . فلست ابالي ما دمت مصيبا في قولي وها أنذا ابدي ملاحظة « ليست بالتاريخية » وارى انه لا حرج علي في ابدائها ما دمت معجبا بهذه الرواية وما دامت هي الاخرى جديرة بالاعجاب .

وقد ترى معي يا سيدى القارىء انها ليست بالملاحظة التي تنقص من قدر هذه الرواية ولا التي تسلبها ما حازته من قبول واعجاب . الا انها في جانب كبير من الاهمية . لان المؤلف باعتباره مؤلفا روائيا لا شاعرا فحسب ، كان عليه ان يلاحظ كل موضع دقيق من هذه الرواية فيلبسه ثوبا ملائما له. فضلا عن ان يسترعي انتباه السامع ويقف به على دقة الصنع والابداع .

ينتقل بنا المشهد « حول ديار بني ثقيف في قرية من قرى الجن حيث اجتمعت طائفة للحناوة بقيس وهو يهيم على وجهه في الفلوات ــ وبينهم شاب في شكل انسي جميل، وهو الاموي شيطان قيس ــ والجميع ينشدون ويرقصون . وبعد نشيد طويل يسأل بعضهم بعضا « فيم اجتمعنا ههنا » والى ماذا جئنا وماذا نريد .

واذ ذاك يجيبهم الاموي شعرا :

بني الجن في ارضكم عابـــر من الانس يرفل في ضره
فغالوا بـــــه واعلموا انه فتى نبـــــه الشعر من قدره

واننا لو سقنا المشهد من اوله الى تلك الفقرة لاقتضى ذلك منا تطويلا ونحن احوج الى الاختصار . وكل ما في الامر هو انهم لبثوا مكانهم حتى ظهر لهم قيس « يدحرجه الغضاء » ولم يكن منهم الا ان التفوا حوله منشدين :

سلام ملك الحـــب وسلطـــان المحبين

وهنا يتلفت قيس يمنة ويسرة وقد اخذ به الوهم كل مأخذ : ( رب الى اين انتهت بي السرى وهذه المسوخ حوله جنة ام عمل الوهم وتهويل الكرى غير انه لا يلبث ان يتحقق انهم جن : ( تلك من الجن لعمري شرذمة ) وحينما يرى الجن ان الرعب قد نفذ الى قلبه يهدونه بقولهم :

نبي الحب لا تخشى اذى او ترة منا

وبعد ذلك يأخذ الاموي في شعره يضمن بيتين لقيس لم يكن فاه بهما قط .

بل لم ينبس منهما بكلمة واحدة حتى يسمعها غيره .

وانما قالهما واحتفظ بهما في ضميره ودونك الابيات مضمنا فيها بيتا قيس :

تركت ورائي الشام لم احفل بـــه
ولا هو من شوقي القديم شفاني
وعدنـــا الى نجد اقاسي صبابتي
ووجدي كانـــي مـــا برحت مكاني
تركتك ليـــلى فانفجرت لياليـــــا
مؤلفـــة الاشكـــال جد حســـان

فلم يخل سيري منك يوما ولا السرى
ولـــم يخل من تمثالك القمـــران
عن كل ارض من هـــواك سوارح
ملأن سبيلي أو ملكن عنانـــــي
« واجهشت للتوبـــاء لما رأيتـــه
وكبـــــر للرحمن حـــين رأني »
واذريت دمـــع العين لمـــا عرفتـــه
ونـــادى باعلى صوتـــه فدعاني »

ثم يدنو منه قيس غاضبا حانقا وهو يتأمله ويقول في نفسه ما الذي اومى بشعري لهذا الغلام المدعي في حين انه لم يسمع به أحد ولم يتحرك به مني لسان .

ويتهمه بالسرقة فيرده الاموي قائلا :

انا الملقـــي عليك الشعو ر مـــــن آن الى آن
انا الهاجس والشيطان
فينكـــره قيس لا لا لست شيطاني

ويدعي انه يقول الشعر من نفسه .

وكان من مقتضى هذا الانكار والادعاء ان تنصل عنه الاموي تاركا له العنان ليقول الشعر وحده ان استطاع « قل وحـــدك الشعر اذن » .

هذا ما قاله الاموي وهو ما سقنا من جرائه هذا الكلام اذ انه كان مما يقتضيه هذا التنصل والانفراد ان لا ينطق قيس بمصراع صحيح لانه قد تجرد عن المادة التي كان يستنزل منها الشعـــر سابقا .

ولكن انظر ماذا قال قيس « تظنني لا اقدر » فهو مطابق كـــل

المطابقة للمصراع الاول .

وكان من واجب المؤلف وهو يريد ان يثبت ان قيسا لا يستطيع ان ينول الشعر وحده ان يتحرف من هذا المصراع ولو قليلا كان يقول « أتظنني لا أقدر » او نحو ذلك . لا ان يتركه ينطق بهذا صحيحا ثم يتبعه بصدر بيت اخر حينما يسأله الاموي ان يصور له هذا المشهد ان كانت له قدرة على الشعر . وذلك قوله :

اسمع اذن يا اموي

الاموي انني انظر

ثم يأخذ قيس في كلام هو الى النثر أقرب منه الى الشعر ولكن لو فعل المؤلف ذلك بادىء ذي بدء مراعيا مثل هذه المواقف الغامضة لما كان للانتقاد من سبيل .

واخيرا اهنيء شوقي وامته والعربية وابناءها بهذا النجاح العظيم الذي يؤذن بمستقبل باسم للعربية ومجد زاهر لكل من نطق بالضاد .

# الاجرام في التاريخ

(نشر بمجلة «ملتقى النهرين» ـ العدد ١٦٣ ـ في ١٩ ـ ٤ ـ ١٩٣١)

لم يزل الانسان منذ اقدم العصور يشعر برغبة ملحة الى الاجرام وحاجة شديدة الى الاعتداء على اخيه الانسان والتغلب عليه وسلبه كل ما له من مزايا في هذه الحياة ليستقل بهما دونه وتنفرد بها نفسه المجبولة على حب الاجرام . وهذا هو التاريخ يحدثنا عن اكبر حوادث الاجرام والمجرمين ويوقفنا على نفسياتهم لنحللها من خلال تلك الثورات الدموية التي لم تكن ليقر لها قرار ولا لتهدأ لها ثائرة في يوم ما من ايام تلك الحياة الماضية وذلك الانسان المتصرم الذي لم تزل ابناؤه ـ اناس اليوم ـ يحتفظون ببعض عاداته واخلاقه الشريرة احتفاظهم بالبنوة له والانتساب اليه .

ولقد خلق الاجرام مع الانسان في يوم واحد .

اي لقد خلقت قابلية الاجرام وعاطفته عند الانسان في ذلك اليوم الذي نزل فيه ظهر هذه الكرة الارضية واطلق عليه اسم الانسان .

وتلك العاطفة هي التي اوحت الى قابيل قتل أخيه . ولو لم تكن موجودة لما نزعت نفسه الى الشر في حين انه لم يسبقه عليه أحد .

واذن فالاجرام ليس بوليد الامس القريب وانما هو ترب الانسان وابن يومه .

واول شيء حمل الانسان على ان يجرم هو الغيرة والحسد وبعدئذ تنوعت اسبابه واتسعت وسائله بتنوع واتساع الاعراض

الحيوية التي نشأ من جرائهـا التطاحن والتفاتل حتى في اتفـه الاشياء التي لا يقام لها وزن .

وحوادث القتل التي تقع الفينة بعد الفينة انمـا تكون ـ في الغالب ـ معلقة على سلب اعراض الحياة لا الحياة نفسها فالقاتل لا يريد ان يكسب حياة اخيه المقتول ليزيد بها سني حياته انما يعلق عليها اشباع رغباته النهمة وارضاء نفسه الجياشة بشتى المآثم والمدوان .

وحيث كانت الحياة مصدرا للاجرام فقد كان هو سببا الى بقاء بعض الانسان الى وقت ما يتغلبه على بعضه البعض و بالمدافعة دون نفسه بوازع حب الحياة والبقاء .

وما من نفس الا وتنطوي عـلى شيء كثير من تلك العاطفـة الاجراميـة التي كسرت مـن شوكتها وهدأت من ثائرتهـا هذه الحكومات المطلة اليوم على اعمال الناس بعين لا تغفو ولا تنام .

ولولاها لاصبحت الحياة مسرحا تمثل فيه الثورات الدموية وحوادث السلب والنهب بكثرة على مرأى ومسمع من الانسانية التي تبغض هذه الاشياء على انها لا تتفق وقانونها السلمي في حال من الاحوال .

وان مادة واحدة من قانون الانسانية لتحرم تحريما باتا كلمـا يجيئه الانسان من اثم وعدوان .

بله القوانين السماوية وما كان للوضع فيها من أثر . على ان الانسان لا ترعوي عواطفه الاثيمة في سبيل تحقق اغراضها بالرغم مما تنوء به هذه القوانين من عقوبات صارمة وتهديـد وانذار ولكنها تذهب في تحقيق اغراضها غير هيابة ولا وجلة حتى اذا ما اصبح العدل في حاجة اليها رأيتها ترنو بعين الحسرة والندم

على ما اتته وتمتلىء رعبا ووجلا لم يساورها قبل ولم تفكر فيه حين الاقدام .

وعاطفة الاعتداء عميا علا تنظر امامها حتى تقع في هوة يربعن فيها الموت الزؤام حيث لا ينفع العذر اذ ذاك ولا يغني فتيلا .

والعامل الوحيد في هذا الوبال الذي كان ولم تزل ترزح تحته الانسانية هو ثوران العواطف التي لا يملك معها ضعفاء الناس أثرا على القمع والرد .

وقد دلت التجارب على ان المجرمين جميعهم ضعفاء في نفوسهم وان كانوا اقوياء في اجسامهم . اذ الواحد منهم لا يستطيع ان يضغط عواطفه حينما تثور . بل يقف بعيدا منها ويدعها تطفو وتثور حتى يحدق به الخطر وتكتنفه الاهوال . واذ ذاك يثوب اليه صوابه . والهلع الهلع ولات حين مناص . والجرم كل الجرم على تلك العاطفة التي رمت به في هذا القليب البعيد الغور يرفع رأسه فلا يجد من يأخذ بيده ويكون عونا له على الخلاص .

ويلتفت وراءه فلا يرى الا الموت يفغر فاه ليبتلعه .
والى يمينه وشماله فلا يرى الا العدل يمسك بهما واخيرا الهلاك الهلاك ولا منجي ولا فرار ...

والان .. والان ايتها العواطف رحمة بالانسان وعطفا عليها وكفاك قسوة وصرامة ولتقمعي شرك الذي يتطاير الى قلوب البرايا ويندلع الى سويداء الانسانية البريئة فلا تمتلك معه الا الانين المر والتوجع القتال .

## الصحافة

(نشر بمجلة « ملتقى النهرين » بالعدد ١٧٧ في ٢ـ٨ـ١٩٣١)

الصحافة يا بنت السماء ونزيلة الارض. يا سر التقدم الانساني ويا معجزة الاجيال . يا خطيبة العالم . ويا موقظة الامم من سبات الغفلة والجمود .

انت .. يا قائدة عقول القادة يا فكرة الخلود . يا نواة الاستقلال ويا عظمة اوربا ... احييك انك شمس الحضارة المنعكسة على قلوب اظلمتها غابرات السنين والاجيال وران عليها حجب التقاعس وصدتها عاديات التقاليد من وجه البحث والتفكير .

وكانت لولاك تضرب عليها ضربة قاضية تفقدها النبض والخفقان .

وانك للشيء الوحيد الذي يبرهن بوضوح على مقدرة الانسان في اشتقاقه أسهل سبل الحياة النافعة. وسعيه في سبيل النبوغ والابتكار .

في سبيل الحياة الخالدة والعقل الجبار .

ولانت بجانب ذلك اكبر عامل في تكوين رجال يعيشون بعقولهم في سماء الخيال والالهام ويمرحون في ظلال الابدية ... انت وما انت غير حياة الامم . ومقياس حضارتها وتخلصها من قيود الجهالة العمياء . فكم من امة أخذت بناصرها في حين انه لم يكن بد من سقوطها في وهدة الشقاء والانحطاط في حمأة الرذيلة .

الصحافة : وما هي غير النور المنبث على سماء الفضيلة والملقى

بالألاف على ارض بسطتها ايدي العقـول . وفضاء دبجته يـد العبقرية على طريق وعـر شائك لا تعبده المعاول ولا تصلحه الفؤوس .. على ان ضربة واحدة .. واحدة فقط من شفتي يراع على صحيفة بيضاء لهي اكفل لصلاحها من المعاول وأشد وقعا على رأس الجملة من سقوط القنبلة الحمراء .

فللصحافة اليد الطولى في تغيير مجرى الحياة ومجريات الحوادث والافعال ولها اكبر الاثر في حياتنا الحاضرة واذا كان الانسان بادىء ذي بدء وقبل ان يتوصل الى معرفة الصحافة يتلقى ثقافته عـن طريق الدرس والاصغاء في مكان محدود امام شخص معين ولم يكن ليعرف الا هذه الوسيلة ليتذرع بها الى التحصيل على ثقافته الادبية فانه يمكننا ان نتصور مبلغ الفرق بينهما اليوم ويمكننا ان نفرق بينهما حتى في الانسانية فنقول : انسان ما قبل الصحافة وانسان ما بعدها كما نقول انسان العصر الحجري الساذج وانسان العصر الحجري المنحوت .

ولنكون جد عادلين في هذه التفرقة ايما عدالة وانصاف وليست الصحافة في نظر التاريخ الا شيئا محدثا ككل الاشياء التي لها قيمتها ومقدارها الحيوي في مجتمعنا الانساني والتي لم تكن لتوجد الا في هذا العصر والذي قبله .

وهي وان كانت قريبة العهد بالوجود فانها بفضل تقدمها المطرد ونجاحها العظيم اصبحت كما لو كانت تعيش قبل الف سنة ــ نسبيا ــ ولا ريب في ان كل انسان يقول معي : انها بحق معجزة الاجيال المتخلصة من قيود التطور البطيء والمتممة لانسانيتنا من نقصها المعيب ... فهي ثقافتنا الغالية . ومهذبتنا القديرة . ذات المبادىء القوية القائمة على العقل البشري الناضج والآراء المترجمة عن اسمى المشاعر والاحساس ..

وهي بجانب ذلك كله مقياس الحق والصواب وقانون البشرية العادل الرحيم ... كم يعمل العقل في رفعها الى مستوى الشرائع . وكم تخدمها المادة وراحة الانفس. وكم تعمل هي الاخرى في صقل العقل وتهذيبه مثلا بمثل ــ وان لم تستطع ان تخدع المادة كخدمتها لها الا في النور القليل . فكلما يسدي لها العقل يدا بيضاء ويمد اليها كفا لا تدع للعثرة اليها من سبيل كذلك ترتفع به الى اقصى حد. وتصبغه بلون المثل الاعلى للحياة العقلية التي هتف بها النوابغ وغنى بها الشعراء ...

وقد بدأت الصحافة تعمل في تاريخ الشعوب بتضامن من الجانبين حتى كان ما كان من تقدم ونجاح .

فالامم التي نراها اليوم متقدمة او على شيء من التقدم. ونحس منها بروح الوثبة والنهوض ونطالع من نفوس افرادها نزوعا الى العلم وميلا الى تمحيص الحقائق ــ هي تلك التي قامت مع الصحافة على قدم الجد وساق الاجتهاد .

أما التي تأنس منها تأخرا وانحطاطا في المدارك والافهام . في الازراق والمشاعر . فهي تلك التي اهابت بها الصحافة فلم تجب. وجعلت في اذنها وقرا دون داعي العلم والعرفان .. ويكفي نقصا ودليلا على الجمود ان الصحافة في السودان لم تزل على عهدها الاول غير واجدة تشجيعا من نفوس الامة ولا متقبلا من شبابها ــ بل المعونة والتضحية في سبيلها بكل راحة ومنفعة ذاتية .

* * *

ويكفينا نحن تقاعسا ان نكون بجانب الامم الراقية التي تقدر الصحافة قدرها وتعرف ما لها من اهمية وعمل في تهذيب الانسان ــ ان نكون بجانبها غير مقيمين للصحافة وزنا ما ولا معلقين عليها

اهمية في يوم من الايام ولكننا نعرف ـ بحمد الله ـ كيف نصون « القرش » حتى لا يفلت منا في طريق الصحف وكيف نعض عليه بالنواجز .. ولو عقلنا وترسمنا خطى الامم العاقلة لرأينا ان ما نضعه في الصحف نأخذ به معلومات تساوي كل مصكوك على وجه الكرة الارضية ... وماذا نريد من القرش اذا كان يجلب لنا التمتع بلذة العلم والاطلاع .

وقل لي ماذا تؤمل منه اكثر من ذلك : اكثر ما نبتاع به حياة عقلية . ونشتري به غذاء الروح والوجدان . اكثر من ان نقدمه آصرة آمرة ونتخذه وسيلة لنطل من خلال ثقبه الضيق على متسع العقل والافكار .

فالصحافة عندنا في حاجة ماسة ورغبة ملحة الى التشجيع والدفع بها الى الامام . حتى تأخذ مكانها مع الصحف الدولية جنبا لجنب. وتجلس على قمة التقدم الباهر في شيء من العزة والكبرياء ...

فشجعوها يا قوم فانها منهلكم العذب الذي تردونه حالما يكون للظماء في نفوسكم شعلة وضرام . شجعوها فانها نور الحقيقة الساطع الوضاء .. ونحن باعتبارنا امة تنصلت او تسعى في التنصل من قيود الجهالة ان لم ننهض باكبر عامل للعلم فماذا يا ترى نفعل؟ انظل نتطلب الكمال والرفعة ونحن على نفق من الارض . ام نكون كازغب يمني نفسه ان يحلق في مطار الفضاء والآفاق وعلى مرأى ومسمع من النسور والقشاعم ...

محالا نطلب لو فعلنا ذلك ونلتمس امرا لا يتسنى لنا تحقيقه الا باجراء العمليات التي تمهد لنا السبل ...

والان نود ان نعرف ما هو ذلك الشيء الذي يضمن لنا النهوض ويكفل لنا استقلالنا الادبي كما استقلت من قبلنا امم كانت جماعة

الارض تنظر اليها بعين ملؤها السخرية والازدراء ؟

وهنا نقول ان الاشياء كلها تكاد تتوقف على الانسان وتكون رهن اشارته ومبغاه. اي ان كل شيء لا يتم الا بالانسان فالصحافة هي التي تضمن لنا النهوض والاستقلال الادبي ولكن من ذا الذي يضمن لها هي النهوض ؟ الانسان من غير شك !

واذن فكل شيء يرجع الى تعضيده وينتهي الى مؤازرته. فلنرتفع بالصحافة لترتفع بنا . ولنولها عطفنا وحناننا المادي لتمطرنا بكل عطف وحنان ...

العلم شيء والمادة شيء آخر لو وضعناهما في كفة واحدة لتبين لنا مبلغ حمقنا الذي يحملنا الى ان نقارن بينهما بوجه من الوجوه .

المادة ما كانت لتستخدم في صلب المنافع والاصلاح . وهل كان العلم الا لتخدمه المادة باعتباره منفعة واي منفعة ؟

من لنا بفهم الاشياء على حقائقها الثابتة حتى نقدر كل شيء قدره . ومن لنا برؤوس عاملة واياد ندية تعمل في مناصرة الصحافة الى غايتها المنشودة . فسوف لا تكون لنا صحافة ما لم نكن كلنا يدا تعمل ورأسا يفكر ما لم نكفر بالمادة ونؤمن بالعلم..

ما لم نحطها بسياج سميك من رعايتنا حتى لا يكون ثمة مجال ليد تمتد اليها بسوء او آثام . اذا فعلنا ذلك وكنا على جانب من الايمان القوي بان الصحافة هي ام الحضارة وبنت العلم فاننا من غير شك سنتذوق طعم هذا الاعتقاد يدب في حواسنا شهيا ممتعا .

وندرك الى اي درجة كان يرمي بنا الجهل في اغفال الصحافة والى اي حد كنا عنها صادفين ... ونظرة واحدة نلقيها الى الغرب ونجود

بها ازاء ربوعه العامرة تثبت لنا جليا ما نريد ان نقوله من ان الصحافة لا ترتفع بالانسان فكفى بل بجانب ذلك تجعل له سيطرة على رقاب الناس اجمعين .

وها هي اوربا مضرب المثل وملفت الانظار فانها لولا تقديرها للصحافة وسعيها حثيثا في سبيل معونتها بالنفس والنفيس لما اصبحت وفي يدها الحل والربط ومقبض نواصي الآباء والاجداد. ولو كان لاحد ان يقول ــ لكنت أنا ــ انها فكرة نبتت على ثرى المريخ فحصدتها الملائكة ثمرا ونثرتها على الارض فجاء والتقطها اول مار على الطريق الاقدس واخذ يقلبها معجبا بهذه الثمرة التي لم ير قبل اليوم اختها على مسكونته الغبراء . فنازعته نفسه على ان يتذوق طعمها فلربما كان موافقا لشكلها الانيق .

وقف يتنازعه عاملان « كل » و «وانظر » ولما كان عامل «كل» اقوى من ذلك العامل تغلب عليه وطغى على كل عامل داخلي آخر.

فقربها من فمه مستكبرا اكلها مستعظما ضياعها من بين يديه داخل الامعاء .

دفعها بشدة في فمه فوجدها الذ مما كان يحسب وأشهى مما كان يظن ...

أحس بافكار تملأ راسه .

«ماذا يا رب انها افكار الهية تفيض بها رأسي فيضان البحر بمنبسط الصحراء ... ميول الى القراءة . ميول الى الكتابة . ميول الى التفكير . ميول الى ... غير ذلك . كل هذا احس به الآن فأي سر هذا الذي حجبته عن مقاديرك يا رباه .

لو عرفت ذلك الشيء الذي حرك في هذه البواعث لاكثرت منه فما هو يا رب .

عجبا عجبا طفت الافكار مرة اخرى وزاد الميول . واصبحت احس كما لو كنت ريشة في مهب عاصفة هوج .

ومآي الى ان استسلم الى هذه الافكار طائعا وانزل تحـــت ارادتها غير منازع ولا مقاوم ... عجبا . زاد وطغى وعظم الامر . اين ... اين اليراع اين الدواة اين آلة الطباعة ؟ هي هذه امامي سهلة التناول قريبة المنال فماذا افعل ؟

لم يبق امامي الا ان اكتب ... اكتب للناس معجزة الاجيال » .

اقول لو كان لاحد ان يقول هذا لكنت أنا ذلك الاحد الذي يدين ويؤمن بكل ذلك عن طريق المعرفة الخيالة التي تتردد في ضميري كلما فكرت عن الصحافة وكيف نشأت .

فالصحافة بحق اعظم مما نتخيل فهي القوة الهايلة التي ان شاءت اعملت براثنها في امعاء الظلم والطغيان واوشجت واجبها في يد الاستبداد الممقوت فثلت عروشه وقوضت اركانه السوداء.

ان ( الصحافة ) لو شاءت عزائمها هتك المغيب ما ولت باخفاق هي قدرة الفكر المتين القائم على الحق والصواب والمستوى على العدل والحرية ... ذلك العقل الناصر للمبادىء السامية والمجد في رفع الانسانية الى الغاية التي خلقت لتدركها في الحياة .

## في المستوى الشعري للامم

## ( ١ )

( نشرت بمجلة « الفجر » بالعدد السادس ـ في١٦ـ٨ـ١٩٣٤)

يحسب الشعر ان يكون اثرا للجمال الاعلى في الارض . وقبسا من النور الالهي في العالم . وقوة من السحر السماوي في الشاعر .

يفتح به من مغاليق الكون ما اقعد الفلسفة ان تنفذ من رتاجه. والعلم ان يصعد على معراجه . ويعالج به من مصايد الروح ما تعيا به حبائل العقل واقضية المنطق . ويصور به خطرات ما كان ليغلق بها الوهم في مضارب هذه النفوس لولا ما للشعر من دقة والشاعر من رقة ...

والشعر بما يغدق من كنوزه على العالم ويفرغ من روحه على الانسان . وما نحضد به من شوكة الشر ويقضم به من مخالب البشر لجدير ان يكون بعد الانبياء رتبة في اصلاح ما فسد من عناصر النفس وابترد من حرارة القلوب واغلـق من ابـواب السماء .

وان من اكبر الدلائل على سمو الخير في الامة وتمكن الامة من الخير ان يكون لها من ذوقها الشعري ما يدفعها الى تفهم الجمال الحق في ادق مظاهره الشعرية التي قد تكون سكونا وقد تكون حركة او شيئا منهما .

وقد تكون حتما وقد تكون كلاما او شيئا بينهما .

والتي هي لمحات وايماء من عبارات كالصور او صوركالعبارات. تفيض بها النفس من داخلها او يطفح بها الكـون من خـارج النفس ...

وان من اكبر الدلائل على سمو الذوق في الامة ان يكونللجمال المطلق في كل مسالك حيواتها منزلة ( المعبود ) وللشعر المطلق في كل مخادع صبواتها منزلة (العابد) . وسمو الذوق احساس وتأثر ينميه ما في النفس من هيام العاطفة وتحرق الفكر ويبعثه ما في طبيعة القلوب من وله بالجمالوايلاع به ، ومكون اليه واخلاد له . فعند كل احد ذوق ولكن بقدر ما يعرف عن الجمال ويقدم بنفسه منه ويتركز على ذاته من معانيه .

والجمال انما يفيض على الافراد بقدر ما يحدهم من استعداد لفهمه . ومنزلة الثقافة في تفهم الجمال وتكوين الاذواق منزلـة ثانوية .

فقد يوجد بغيرها الذوق ويفهم من غيرها الجمال ولكنها تجيء فتفجر منه ينابيع الشعر الذي يؤسسه الذوق وتركزه العاطفة وتمده من لهيبها القلوب .

ثم يرجع الجمال في نهايته فيحيا في اطياف وظلال من وحي وكلمات هي ... الشعر . ويعود الشعر في نهايته فيكون جمـالا وذوقا وذاتا فيها من الحسن ما لا يوجد في الحسن نفسه .

فالشعر جمال وذوق وذات .

والمستوى الشعري للامة انما يثبت على هذه العناصر الثلاث . فبقدر ما يفهم الذوق الجمال . وبقدر ما يخلق الذوق والجمال الشعر . وبقدر ما تخرج في مجموعها ذاتا هي الحسن او اكثر من الحسن تكون الامة ويكون مستواها الشعري بين الاسم ويكون

متياس هذا المستوى الذي نتحدث اليك عنه ....

والآن فقط تقوم في ( مصر ) نهضة شعرية يحفزها الشباب الذي يطفر الى الآفاق في قفزة ما آمن له معها ان يزل فيسقط أو يكبو فيعتل .

وان مصر الآن لتريش للشعر ما حص من جناحه المهيض وانتزع من قوادمه وخوافيه واساقط من ذغبه وانتثل من ذناباه . ولكن في سرعة وتعجل .. ولكن في قوة واندفاع .. مصر الآن يقودها الى السماء رسل الشباب فيقحمونها في الفضاء ويستكرهونها في مسالك الخيال الذي تمده النفوس الشابة وتبعثه القلوب الفتية ويركزه الدم الناشيء الفوار .

وفي الشباب قوة وللشباب جبروت وفيه ما في البحر من فوران وثورة وعتو وعناد وجزر ومد وتدفع واهتياج .

فليس عجيبا ان تكابد منه قوة غلابة وعزما طغى على قديمها فنمره في حين انها حتى أمس .. أمس الذي وقف فيه « شوقي» على قصر « الحمراء » في الاندلس فاستنشده « يا اخت اندلس» فانشده والذي استعدت العربية فيه « حافظا » على لوثة العجمة وغواشي الصدا فاستعداها بتائيته المشهورة .حتى أمس الذي وقف فيه حافظ على حافة القبر .واستصرخ رصيفه في الفن وميره في البيان فمشى على اثره دراكا ولحق به كما تتلاحـــق التذائف الصاعدة .. حتى هذا الامس الذي كان يوجه دفته مهيار وابن هانيء . ويعترف زورقه البحتري وابو تمام ويمســـك بجذافيه ابن الرومي وبشار لم يكن لمصر عهد بما تفرغ منذ اليوم على قالبه وتطبع على غراره في الشعر واساليب البيان ومذاهب التفكير المنتج وطرائق الانتاج الممتعة .وانه لعهد جديد ما في ذلك

شك وباب السماء يفتحه على مصراعيه شباب الكنانة ويزحمه على سعته شعراء « النيل » ! فهي الآن سحر وجمال تسير بخطى واسعة نحو انقلاب ادبي يمهد له الشباب في جرأة واقدام ويحسب لهم غيرهم الف حساب من لغة واوزان وقومية ووطنية وصبغة وطابع .

ويتعذر علينا ونحن نكتب عن المستوى الشعري لمصر ان نتبين بوضوح في هذه السماء القاتمة ما يصح ان نسجله لمصر كمقياس لما وصلت اليه من درج او تحدرت له من درك .

وطبيعي ان يكون من نتيجة هذه المعارك اضطراب المستوى الشعري وفقدان الطابع الذي يميز مصر في شعرها واديها وتفكيرها حتى تهدأ هذه الثائرة وينقطع هذا الصريخ ويتراجع هذا اللجب المنبعث من قرارة الوادي فيؤثر قديم او ينخب جديد.

ولعل ما نلمحه الآن من تزلزل واضطراب وما نلمسه من تبلبل وارتجاج في مستوى الشعر ومقاييس الاذواق يرجع الى تباين في فهم الجمال مبدئيا . وبالتالي الى تباين في الوان الثقافة واجواء التأثير .

ولن يظل هذا التباين كثيرا حتى يستقيم الامر الى الشباب الجامح فيتجه بموكب الشعر الى عبادة ( النور ) وبحاثم الدهور ومعابد الزهور . الى عرائس البحر واطياف النهر وسحر الربيع وزخرة الينابيع ... ذلك هو الشعر الذي يكون أثرا للجمال الاعلى في الارض وظلالا من الروح الحائم في ملكوت السموات ..؟؟

واما ما يصاقب مصر من شأم وعراق فلم يكن ليؤثر على ادبه في هذه الايام الاخيرة ما أثر على مصر . فهو يقبل ما ينحدر اليه من الغرب ويمهد له اماليبه ويوطىء له من نفوس كتآبه وشعرائه

ليحتلها فتتكون به وتركز به من طابعها الادبي في سلام وهدوء ولهذا وحده تجد الطابع الشعري في العراق ولبنان اشد وضوحا منه في مصر .

ولهذا وحده ايضا تكون النهضة الشعرية في سوريا ولبنان اثبت قدما منها في مصر ولكنها اخف وزنا واضعف علاقة بالخلق والانتاج من مصر بهما .

والادب السوري ادب « كنيسه » يتحرق على «مجامره» الشعراء والكتاب وتستاف من « عطوره » نفوسهم الهائمة التي طبعت على الرقة واللين وحب الجمال .

وفي ادبهم نواقيس واجراس وفي شعرهم اثر « المسيحية » وهو الطابع الوحيد الذي يميز ادبهم عن غيره .

أما المستوى الشعري لهم فهو حيث تركه ( جبران ) .. خيال وفراط ما تكادتتبين معه الا متعة الخيال . وانطلاق الى غير مدى في هذه السبيل . وان كان لنا ان نعلل بقاءهم على هذا المستوى او ان نقول كلمتنا عنه فانا نعلله بشيء واحد وهو انهم انمـــا يعبدون جبران ويتخذون منه مثلا اعلى للجمال الروحي وقصيدة بليغة من قصائد الحب المطلق فكل انتاجهم من بعده ضرب عـــلى قيثاره ونسج على غراره !

أما البلاد العربية الاخرى فما تكاد تحس لها بطابع ذاتي في الشعر لان النهضات فيها غير قوية او لانها لم تتصل بعد اتصالا وثيقا بالنهضة الادبية الحديثة . ومما يصح ان يكون تعليلا لهذه الظاهـــرة حفاظ بعض هذه البلاد عـــلى طابعها العربي القديـــم وعداوتها للجديد بكل ما فيها من حمية الشرق وحفيظة العرب . وغيرتهم على تاريخهم المغلوط فيه من هذه الناحية الادبية وغيرها.

نعم انهم انما يحافظون على تاريخ مغلوط فيه .

ولو اتيح للعرب انفسهم الذين كونوا لنا ادب الصحـراء ان يعيشوا معنا في هذا العصر ــ عصر المدهشات في كل شيء ــ لما كان لهم من التعصب ما يدفعهم الى ان ينكبوا بانفسهم عن طريق هذه الحياة ولجنحوا بآدابهم الى مسايرة روح العصر باوسع ما في الوجود من معنى لهذه الكلمة . وكل حفاظ ابنائهم من بعدهم انما هو جهل بما تبعثه هذه الناحية في تاريخهم من جمود في حين تسعى الامم بآدابها الى مغاليق الوجود فتزحمه على ما فيه من ارواح واشباح .

وماذا يضير العربي ان يحتفظ ببيانه وان يعمل في استغلاله ولكن في غير ناحية الحياة البائدة التي من عبث الايام انا ما نزال نسمع بين ظهرانينا من يحدو ابلها بما قرأ من ادب امرىء القيس وحذق من تفكير طرفه . أكان لهذا معنى وفي الرؤوس افكار وفي الجوانح قلوب ...؟!

وفي الهند تغلب عـلى الشعر فلسفة ( طاغور ) وروحانيـة ( اقبال ) ــ اقرأ ما كتبه الاستاذ عزام في مجلة الرسالة عن هذا الشاعر المسلم ونشره له من قطع شعرية ــ وادب الهنـد ادب روحانية وزهادة وتصوف .

يرفض من قصائد شعرائه حنين ولوعة وجلال وقدس ولمحات من الحب الالهي في اطار من الطلاسم والالفاظ . ومهما يكن من أمر الهند في الشعر واسلوب الشعر وطرائق التفكير والانتاج فيه فهو لن يهبط به الى درك الشرق ولن يصعد به الى مستوى الغرب .

. . .

ولئن لم نكن في كثير ولا قليل من لغات الغرب فان ما حذقناه

بالواسطة من ادبه ولقناه بالدليل من اسباب الترجمة ووسائل التعريب لجدير ان يلقى علينا ظلالا من وحي ( باريس ) والهام ( لندن ) وانتاج ( لندنبرج ؟ ) . ولن يقف في سبيلنا كثيرا ما نحس به من فواصل اللغة وحدود المكان ونضيق به من ثقافة قاصرة وفقدان للوسيلة المباشرة ان نكون لنا رأيا عن هذه الآداب وان اعوزنا ان نتصل الا بظلها في المرآة . او قعد بنا ان نتفهم من جمالها الا ما يفيض على لغتنا من طرقها في التفكير وقوتها في التعبير .

وهم يقولون ان ما نقرؤه من ادب العرب وشعره معربا الى لغة الضاد فهو لن يخضع الى النقل والتعريب الا بعد ان يفقد كل ما في روعة الاسلوب وعذوبة الصيغ وجمال التراكيب ... وهم يقولون ان اعجاز الغرب وقف على لغته وهو في غيرها مسخة من كـلام .

فقل لي بربك ماذا كان ينقص الغرب في ما لدينا من مآثره . وأين ما يعاب عليه من مآخذ الا انه جميل معجز ... ؟!

وفي هذه الآداب الثلاثة وغيرها يقف الغرب الشاعر منا موقف القصيدة من الكـون والفكرة من الاسلوب والحياة من وحـدة الزمن .

أجل يقف الغرب الشاعر منا موقف الحياة من وحدة الزمن ندور حوله كما تدور ( العقرب ) حول الساعة والساعة حول الزمن والزمن حول الحياة .

فهو الان وحده الذي يركز شاعريتنا ويمهد لها طريقا بجانبه وهو الان وحده الذي يفيض علينا من غريب ما أثره من كنوز العقل وعجيب ما احرزه من ذخائر القلب .. في هذه الآداب الثلاثة وغيرها يتجلى ما للغرب من عظمة في الشعر ومنزلة من الحياة الشعرية

التي لا تعرف للارض الا طريقا واحدة هي السماء .

فالشعر الذي استفرخ على احضان « الفرنسية » والشعراء الذين درجوا في معاهد « المانيا » وزخرت بهم مسارح « اوروبا » انما افاضوا على هذه اللغات كنوزا من الايحاءات وصورا من الجمال الالهي .. !

وفي اليونان نهض الشعر بجانب الفلسفة من لدن نهض التاريخ من مرابضه وهو منذ تلك الساعة يتعثر بين مسلك العقل والقلب.

يغالب الفلسفة الموروثة طابعها ويتفيأ من ظلالها بقايا ما تمده على مضارب ( اثينا ) وجبال ( أميتوس ) .

ولولا ما تلطف منه الموسيقى وترقق منه الفنون لكان جافا الى درجة البحوث العقليـة . وهيام اليونانيـة بالموسيقى من عهـد ( هوميرس ) وابعد منه هيام مستحكم في نفوس ( الاثينيين ) ...

يقولون ان اللغة العربية يـوم مهد لها التاريخ أن تقف مـن اليونانية موقف الناقل لم تظفر بشيء من ادب اليونان لتهالكها على تعريب ما خلفه سقراط وابقراط ولو رغبت في نقل مـا أثره هوميرس وغيره من الشعراء . والادباء لكان لادبنا اليوم شيء اخر ولكنا نقول ـ مع مراعاة انها لم تظهر رغبة في نقل شيء من أدب اليونان ـ انها وهي في موقفها الحاضر فلا أقل من ان اليونان لم تنفرد بكثير من الاحساس هي منه على قطيعة وتناكر .

وان تبثه اليونان في شعرها وادبها من اساطير ليكاد يرجع بها احيانا الى سذاجة الاطفال ...

وبحسبك ان تقرأ عن « سافو » فيما كتب عنها في مجلة الفجر انها انقلبت بعد موتها الى ( بجعه ) لتحكم على تأصل الاساطير وهيمنتها في هذا الادب الذي لم تعرف الارض ادبا قبله تحت هذه

الشمس ولولا ذلك ان لولا ما تلطف منه الموسيقى لكان صورة لم يقدمها لنا ( افلاطون ) في جمهوريته معرضا باصحابه سافرا منهم هازئا بهم في اسلوبه اللاذع المرير .

وخلاصة القول ان المستوى الشعري عندهم انما تتعهده الموسيقى وهو لا يستطيع ان ينفك عنها فيثبت . أو ينفصل عنها فيقن ...

اما في السودان ! أما نحن ... نحن ايتها الامة المسكينة فانما نعيش على هامش الحياة !!

## في المستوى الشعري للامم

### (٣)

( نشر في مجلة « الفجر » في العدد السابع في ١-٩-١٩٣٤ )

مما نحمد عليه الله ان دراستنا للشعر العربي لم تكن من نوع الدراسات التي يتناولها بعضهم ناقصة من كتب العصر مبتورة من بين يدي الكتاب . ثم يصدرون عنها . وهم أشد قنوعا واكثر ثقة من نفوسهم بما فقهوا من صور الادب واستظهروا من الوانه .. انما كانت دراستنا له دراسة استقراء وتفهم يؤسسها انقطاعنا الى قديمه وهو اذ ذاك يدلج ويأوب بين مضارب الصحراء ومسالك العراء: يحب ويبغض. ويمدح ويهجو. ويفاخر ويتوعد ويتحيف ويثور ويدل ويصلف. ثم هو في بداءة الاسلام ينحته ما نزل على « محمد » من بيان واعجاز فيطرق في حيرة وينصت في اعياء. ثم يتحرك في بطء وقد القى عليه « القرآن » من ضوئه ما القى .

ثم يعود الى قديمه ولكن في غير خشونة البادية بعد أن صقلت منه روح الاسلام ما علق به من جفاف . ثم هو بين قصور الخلفاء ترقق منه النعمة ويلطف منه الجاه .

أجل مما نحمد الله ان مهد لنا من دراسة الشعر العربي ما يؤهلنا للحكم عليه في ضوء الحديث والبحث عما اثر فيه من عوامل وعمل فيه من مؤثرات في كل ما مر به من اطوار ، حتى وصل

الينا يحمل من صور العصور وطابع الحضارة الاسلامية ما أفاضت به عليه قلوب الشعراء . وصل الينا ونحن في عصر عرفت فيه الحضارة طريقها الى العالم وتغيرت فيه الحياة تغيرا ظاهرا يكاد يكون انقلابا ، يقتطع من تاريخها كل قديم ويمسح من حسابها كل سابق .

وامتزجت فيه الامم بارواحها امتزاجا لا محيد عنه بعوامل الاستعمار والسياسة والاقتصاد ، وتوحدت فيه انظمة التعليم وطرائق البحث وتقاربت فيه الثقافات .

وكان من الطبيعي ان يكون ذلك .

من الطبيعي ان تتغير الحياة وتمتزج الامم ويتجه موكب العالم اتجاها واحدا يجعله يضيق بماضيه في كل شيء لانه يضيق بحاجته الى الحياة ولا ينهض برغباته التي اثارها في نفسه من جديد لم يكن له به عهد من قبل ... ومن هنا ابتدأت الامم تفترق في داخلها بما ترسم من خطط تعين بها نقطة الاتجاه في بعث القديم وحفظ الجديد ، فاسرعت الامم وابطأنا واصابت الشعوب واخطأنا . سواء في ذلك بادىء ذي بدء نصيب كل البلاد العربية .

ومن هنا كانت العوامل التي جعلت الشعر العربي يدين للادب الغربي في كثير من الاعتراف بما له من تفوق عليه ... ذلك الغرب الذي لم يكن له من العظمة الادبية ما كان للشرق في سنيه الاولى وعهد نهضته الغابرة . فاي قوة واي سر هذا الذي رفع به الى هذا المستوى الشعري وأطل به من هذه الابهاء السامقة والشرفات الرفيعة ؟

واي سر ذلك الذي قعد بالشرق مكانه الادبي حيث هو قبل الف سنة من التاريخ ؟!

نحسب ان من بعض مؤثرات ذلك ان ادباء الغرب انما يتعهدون قديمهم بالصقل والتهذيب فيضيفون اليه ما تدفع به العصور فيما تستجدمن حيوات،وماتبعث به هذه الحيوات من حاجة وما تلبس هذه الحاجة من صور واشكال .

ويدرسون شعراءهم في شرح وتحليل وبحث عن نواحي عظمتهم الادبية فينتجون في تراجمهم عن هؤلاء ادبا مستقلا يزيد من صفحات التاريخ ويضيفون به الى ادبهم صفحة جديدة من صفحات الفكر الحديث .

وانا وان كان لنا من امثال ابن الرومي ومهيار وابي العلاء وغيرهم ممن يمثلون الحضارة العربية لا جفاف البادية ما يكون مدعاة فخر ومظنة عظمة شعرية فلم نحاول يوما ما ان نشرحهم شرحا وافيا نتلمس فيه ما لهم من القدرة التي كانوا يعالجون بها مواضيعهم . وما عندهم من نبوغ يجعلهم أقرب الى الحياة في كل عصورها الآتية وما فيهم من النواحي الخالدة التي تستحق الاكبار .

لم نعالج يوما ما ان نحلل شعراءنا على ضوء الحديث وان نتفهم ما استودعوا قصائدهم من لذة وافرغوا عليها من روح حتى نسايرهم ونتأثر خطواتهم ونحن أشد رضا عن أنفسنا بما حذقنا من الوان الادب وابتعثنا من قادته ومؤسسيه .

ولو كان لنا ان ندرس في استقراء وتعمق شعراء العربية التي زخرت بهم دولة ( الامويين ) وازدحمت بهم قصور خلفاء الدولة « العباسية » على ضوء هذا العصر لما كان لامة ان تحرز من العظمة الشعرية ما ينبغي ان نحرزه نحن الشرقيين .

ومن اجل هذا الاهمال اصيبت العربية في أدبها بقدر ما أصيب الادب في رجاله وأصيب العرب في تاريخهم بقدر ما اصيبوا في مجدهم الفكري الذي كان من حقنا ان نبعثه من مرقده حيا مكتمل الحياة الى جانب آداب الامم الاخرى ، ولا يتسنى لنا ذلك الا بدراسة الشعراء على ضوء العصر الحاضر .

وان ادبنا العربي لغني بما في دواوين شعرائه من كنوز ولكنا لم نوفق بعد الى البحث عنها توفيقا تاما يكفل لنا استخراج تلك اللذة التي تحيا في غزل بشار وشعر ابن ابي ربيعه وخمريات ابي نواس وذلك الالم العميق الذي يدفق من شك ابي العلاء واوصف الدقيق المعجز والصور الحية المتحركة على لوحة ابن الرومي .

وما نقص شعراء العربية شيء من المتعة ولكن ينقصنا نحن ان نعمل في استخراج هذه الصور من بين قصائدهم التي نقرؤها على مدح أو هجاء او غزل او ما الى ذلك في حين يفوتنا درس ما لهم من خصائص التفكير وميزة التعبير وما عندهم من موهبة الخلق والابداع . نعم في حين يفوتنا ان نفهم ادبهم في غير ظاهرة وان ننمو به نحو استعدادنا العصري الذي يقوم على تهويل كل ما من شأنه ان يخفي حتى عن الاوهام . نريد في دراستنا الى الشعراء ان نصرف ما يمكن صرفه من ادبهم على غير وجوهه الى ما عسى ان تحتمله الفروض وان نخلق من حبتهم قبة وان نضخم ونهول ونفترض فنحل منه مشاكل ونخلق فيه مشاكل ونبعث فيه غموضا يفسح لنا في طريق البحث والانتاج .

وما أحسب ان طريقا انفع واجدى الى دراسة الشعر والشعراء وتحسين المستوى الشعري للعربية من هذه الطريق . وما آمن

على نفسي من هذا الرأي ان ارمي فيه بكثير من الشطط ولكن لا . فانا اول من يحقق ما اقترح واول من يبدأ على هذا المنهج بدراسة شاعر او شاعرين على اكثر تقدير ... ومن بين هذه المؤثرات التي كان لها اكبر أثر في الوقوف بالشعر العربي حيث هو الان انقطاع المادة المنتجة انتاجا قويا اشبه بالحياة في هذه الايام . ما ننكر ان ما بين ايدينا من الشعر العربي لم يكن الا انتاجا قويا اشبه بالحياة يومئذ . ولو اتصلت هذه المادة المنتجة اتصالا وثيقا منظما متجددا بتجدد الايام في قوة وارتباط اذن لكان للادب العربي اكبر فضل في تاريخ العالم . ومن ثم كان عصر بني أمية والعباسيين صورة من هذا الاتصال المنتج . لان المادة كانت متماسكة لم تنقطع خلال ذلك متسايرة مع ما يطرأ على الخفاء من جديد ولكنها على أثر هذا بدأت تنحل باغلال الحكم وتضطرب باضطراب الدول الاسلامية حتى وصل بها الاسترخاء الى انقطاع يشبه بالموت في اخريات عهد ( الفاطميين ) وما بعده .

ومهما يكن من مسببات الركود الادبي فهو حقيق بالدرس والتمحيص . حقيق بان نعمل في سبيله كل جهد حتى يدرأ عن ادبنا خطرا محققا يهدد دعائم الشعر بالاهمال ويعصف منه بما بقي من ذماء بين حفاظ القديم وتهور الجديد .

وليس ادعى للنجاة وتفادي الخطر ورفع الخمول من ان نكون وسطا بين المرتبتين حتى نضمن لقديمنا ان يحيا وللمستوى الشعري ان يثبت على دعامة الحياة الجديدة .

## مشكلة ادبية كبرى

## بين الشاعر والناقد

( نشر هذا المقال بمجلة « الفجر » ــ في العدد الحادي عشر في ١ـ١١ـ١٩٣٤ وقد علق عليه رئيس تحرير المجلة المغفور لـه « عرفات محمد عبدالله » بما يلي :

صاحب البحث شاعر قبل ان يكون ناقدا ــ بل لعله لا يود ان نحسبه من النقاد بعد ان كال لهم وأوفى ــ فهو يزعم ان النقاد بوجه عام نظريون، ماديون، علميون : والشعراء بحكم شاعريتهم خياليون .

والبحث طريف في ذاته ولعّله جاء في اوانه لان للغموض في الشعر اليوم انصارا ــ المحرر )

اذا توقف فهم الاشياء على الذوق . وانقسمت الانفس في داخلها الى مذاهب وشيع وتناصرت العواطف والاعصاب وتفاعل العقل والقلب . واضطرب الوجود الداخلي وتعددت مقاييسه ورجحت كفة وشالت اخرى ثم شالت كفة ورجحت اخرى .

وتبلدت نفوس ونشطت نفوس وكان جفاف وكان لين .

وكان تناكر وكان ائتلاف . هنالك يصبح سلطان العقل ضيقا محدودا لا أثر له في حكم يصدره أو أمر يضفيه . والا كان سادرا في ضلاله متى حاول أن يقف من الذوق موقف الهيمنة والسلطان .

وهل يمكن ان يكون الذوق شيئا تتحكم فيه أقيسة المنطق أو ضربا من العلوم النظرية التي يخضعها العقل لسلطانه فينفذ منها الى أقصى ما تصل اليه اطرافهـــا من دقة وعمق أو من تغـور وامتداد ... ؟

لا لن يكون ذلك . ولن تحلم القوى العقلية نفسها ان تستحيل يوما ما الى قوة روحية بحتة . ولكن بعض النقاد ــ سامحهم الله ــ من الذين لم تتوافر لديهم تلك الميزة الروحية الخفية التي يتهيأون بها الى فهم لغة القلب . تأبى عليهم مقاييسهم النابية الجافة الا ان يقحموها في كل شيء والا ان يزنوا بها ما خف ولطف حتى لم يعد لهم في انصبتهم أثر . وما جف وثقل وتحجر وتراكم حتى طفر الى ما وراء ارقام الميزان .

وهم بذلك يتحيفون على الشعر الحديث وعـلى مناهج الشعر الحديث وينظرون الى الحركة الادبية نظرة شك وارتياب. ويعلنون في صراحة مؤلمة انهم لا يفقهون شيئا من هذه التعابير التي قد يكون فيها « شرب الضوء » و « رشف الاشعة » و « التهام النظرات » .

ومفهوم ان العقل لا يقر شيئا من هذا لانه فيما يفكر ويتناول ويقر ويثبت مادي بحت أو كالمادي البحت لا يؤمن بالروح ولا يعرف كيف يكون شيء من هذا الجنون ؟

ولقد تدهشك حيرة النقاد وجمودهم امام ارق المعاني وأعذب الالفاظ . وتساؤلهم في خبث عما تعنيه هذه الكلمات. ولن يستطيع الشاعر ان يقنع احدا منهم بأنه انما يعني كذا او كذا من المعاني الروحية فهو لم يقنع له . لانه ان كان في استعداده وجه لقبولها من قبل فليس هو في حاجة الان الى الوقوف امامها هكـذا توقف الحائر المأخوذ . ولكن لما لم يكن على استعداد لاستكناه ما تقصد

اليه فانه لن ينهمها حتى ولو افرغها له الشاعر في قرارة روحه ... وهم بذلك انما يدللون على جدب ذوقهم الشعـــري وانهم اغلظ احساسا وأجف عاطفة وأبلد شعورا من ان تلامس هذه التعابير ارواحهم في رفـــق ولين فيطربون لها ويرقصون عـــلى نغماتها ويتساوقون مع الحانها كما تتساوق العين مـــع المرئيات . واذن فالشعراء امام أمرين اما ان يأخـــذوا بيد النقاد الى البحر الذي ينهلون منه ويطلوا بهم من الثنيات التي يستوحون فيها ويهبط عليهم منها شيطان الشعر أو شيطان الجديد ليرى الواحد منهم بعين رأسه طول النهر وعمقه وزخرة امواجه وما ينبت شيطانه من ملائكة وشياطين . والا بقي الامر معقدا وازدادت الهوة سحقا واتساعا بينهما حتى تبيد السماء وتطوي الارض .

وهذه في نظري مشكلة ادبية كبرى لا يمكن حلها بمثل تلك السهولة التي الفناها في المشاكل الادبية قديما وحديثا . وانهـــا ليغلب عليها ان تكون من ملازمات هذا العصر الذي لم يسبق ان تباعدت المشقة هكذا بين الشعراء والنقاد الا فيه . فان من يقرأ نقاد ابي الطيب مثلا وما الف من الكتب فيما له وما عليه ، لا يعوزه ان يجد للمشكلة الادبية التي تقوم بين ابي الطيب وخصومه وناقديه حلولا ما تترك مجالا للشك في صحة ما انتهت اليه لانها تكون غالبا من نوع النقد الموفق المحدود الذي لا يجهد الانسان كثيرا في اقامة الادلة والشواهد عليه .

نقد تكون في معنى مسبوق فيه . وقد تكون في تعابير مرغوب عنها كالالفاظ الحوشية الخانقة . وقد تكون في شذوذ نحوي او لغوي أو ما الى ذلك فالشعر محدود الاغراض والنقاد موفقون في في وجهة انظارهم التي لا تبعد عما شرحنا بكثير . ولكن الشعر الحديث والطريق الذي بدأ يأخذ فيها منذ قريب هي التي خلقت

له نقدة لا من نوع أولئك . لانها ليست من نوع الادب . وباعدت بينهم وبين ما تسرف فيه هي من تلطف في المعاني واندفاع مع الهواجس وتوغل في الشعور وافتنان في التعبير .

فانت تلاحظ تعمقا وتحس شذوذا في توثب الخيالات بعضها اثر بعض وتزاحمها في البيت الواحد من الشعر الحديث . وترى خروجا على ما الفه الشعراء من قيود وتقيد لا مع الاوزان ولكن مع المناهج التي ظل يسلكها القديم وما زال يسلكها ويناصرها القدماء وما يزالون يناصرونها حتى اخر لحظة من الحياة .

فان من اهم ميزات الشعر الحديث انه اصبح يؤدي واجبه في الحياة كلغة سماوية عليا لا كاصطلاحات بشرية قاصرة . وان الشعراء اصبحوا يؤدون واجبهم كأنبياء تفتح لهم ابواب السماوات لا كهؤلاء الناس الذين يغلب عليهم الشر ويتكاثفهم التراب .

فمن الطبيعي ان يأخذ النقد عليه قليلا مما أخذه على القديم وكثيرا مما لم يأخذه النقد عليه .

ولئن كان يعني من ذلك باللغة والالفاظ فان له من هذا المناحي كثيرة منها اللغة ورخاوة التعبير واضطراب الموسيقى وغرابة المعنى أو شذوذه وتعقده أو ابهامه ثم الخبط والخلط والهذر والهراء والتجديف .

ولا حاجة بنا الى التحدث عن ضعف لغته أو قوتها واضطراب موسيقاه او اعتدالها فان ذلك سيصل منه النقد لا محالة الى نتيجة طبيعية مقررة .

وما كل الشعراء فقراء في لغتهم وان كان بعضهم يأخذ منه الضعف بنصيب . ولا كلهم يجهلون مقاييس الشعر وان كان منهم

من يتعثر احيانا ويخلط بين بحر واخر . ومثل هذه المشاكل كما قلنا يستطيع الشاعر والناقد ان يصلا فيها الى نتيجة محدودة وان يقنع احدهما الاخر بخطئه .

ولكن . ولكن غرابة المعنى وتعقده وابهامه ثم اخيرا طريق فهمه فذلك ما لا يقع في مكنتهما ان ينتهيا فيه الى حل معقول . ومن هنا يتفرع الخلاف ويستحد النقد وتتسع الهوة الفاصلة حتى ما يكاد يسمع احدهما صوت الاخر وهو يصيح بملء فمه !!

فالمشكلة اذن ذوقية اكثر منها نظرية أو علمية بل هي لا تعرف ان النظر طريقا ولا الى العلم سبيلا .

والحق ان الاشياء اذا كان فهمها مقصورا على الذوق كان التباين فيها شديدا واضحا بين الافراد. فما يقدره البعض ويكبره ويلذه ويخلد له ويسمو به الى حد الاعجاز ، هو بعينه قد يستهجنه البعض ويستخف به ويسخر عليه ويستهين به الى حد الاغفال .

فهؤلاء النقاد ينظرون اليه من وراء الخيال الذي يزوده العقل وتمده العاطفة المشبوبه من لهيبها المضطرم . فلن يتوافى منهم اثنان على مشروع واحد الا اذا تنازل احدهما عن مبدئه الى الاخر .

وما اظن ان ذلك يكون . وما أحسب ان احدا يرضى ان ينهزم عن رأيه الذي كونه في الحياة عن شيء بعينه الا اذا وضح له انه خطأ محض لا سداد فيه ولا اعتدال . بل لا يمكن ان يتحلل احد عن قيود ثقافته التي تخلقه خلقا جديدا فكرا وذوقا واعصابا والتي تدفعه قسر ارادته وتوجهه الى ما وجهت اليه هي من قبل .

أجل ان الانسان ليصدر رأيه عن الشيء وعليه من دمه وثقافته واستعداده طغراء ثابتة وطابع لا يغش ولا يخدع ولا يوارب هو

عصير من نفسه وميوله واهوائه واتجاهاته وهو ثمرة طبيعية لتفكيره حسبما يؤثر فيه من ثقافته ونوع اطلاعه والكتب التي يقصر عليها جهوده .

وما ننسى ما لهذه من أثر في تكوين الآراء . ومن لدن صدر ديوان « الملاح التائه » وغيره و « الالحان الضائعة » وغيره ثم لنا ان نستعرض كثيرا من الصور يسرف الشاعر في السمو بها حتى يوشك ان ينفذ بها الى السماء ويسف بها الناقد حتى يلامس بانفها الارض .

على ان ما يعده النقاد مآخذ على صاحب الملاح التائه ليس في كثير منه ما يصح ان يكون غميزة على الشاعر ان لم ينقلب بدوره الى نقص في ذوق الناقد .

هذا هو « المازني وهو شيخ من شيوخ الادب ما من ذلك ريب. وهو شاعر لا يعوزه الاحساس الشعري ولا يلتبس عليه الجمال بالقبح ولا القوة بالضعف وقد تناول الملاح بالنقد وما كنا نتوقع منه ان يتناوله الا بتلك الروح التي صقلها الشعر ولكنه غالى واسرف في انكار قلمه الذي عرفه الادب منذ أمد طويل خبيرا بمواضع الجمال بصيرا بمظان القوة مقسطا لا يتحيف ، هادئا لا يندفع مع ثأر ولا تهزه موجدة احسها للانتقام من وراء حرمة الادب .

واني لامثال المازني ان يشغلوا نزاهة اقلامهم فينزعات النفوس ونزوات الاغراض . هذا هو يعود ليتناول من مكانته التي احتلها في عالم الادب قريبا من ثلث قرن فيعمل قلمه في الاثئار من الاستاذ « المهندس » وفي يقيني انه ليس بمطمئن الى ما كتب من الناحية الادبية وان كان مطمئنا اليه من ناحية التشفي والانتقام لانا

لا نستطيع ان نتهم خبرة الاستاذ المازني في النقد ولا نستطيع كذلك ان نؤمن بان ما كتبه في جانب النقد النزيه او في مكان من الحقيقة في غالبه . فليس هو بنقد اذن ولكنه شيء اخر ...

ولقد قرأت فصلا لبعض النقاد يأخذ فيه على صاحب الالحان الضائعة كثيرا من امثال :

عصرت روحي خمرا للورى وهدى وما تذوقت منها بعض ما شربوا

يسأله في قحة كيف تعصر الروح « والعصر شيء مادي والروح لا مادة فيها » وهكذا مما لا يعدو ان يكون تعنتا محضا لا يد للعلم ولا للنزاهة فيه .

فبالله ربك ايعتقد هذا الكاتب انه ينقد ؟

وما النقد اذن ؟ أهو الانكار في صراحة كهذه ؟ أهو السخر في مرارة كتلك ؟ ام هو التعنت في خبث لا نزاهة فيه الى ماذا..؟!

لقد خلص الى يدي منذ ايام جواب من « اديب » لا اعرف من يكون هو يأخذ فيه علي غموضا يرى اني « اسرف فيه واشحن قصائدي منه » ويأخذ علي اشياء اخرى لا صلة لها بالادب في كثير ولا قليل .

وأقسم انه وثلاثة غيره لم يسهل عليهم ان يعرفوا ماذا اعني في هذه الابيات :

وانت يا من ذقت طعم الهوى  من سحر عينيه ومن خده
عيناك هاتان ... وقد صيغتا  من كبرياء الحسن ام مجده
عيناك هاتان ... وما فيهما  من هادىء السحر ومحتده
كمضمر سرا ومن بينه  مغالق الكون ولم يبده

واعوز احد الاصدقاء وهو ... أديب اي والله يكتب عن ... « اسماعيل صبري باشا » ان يجد عصا ليشج بها رأسي لانه لا يعرف كيف يفيض القيثار بانسان :

هـــذه امه يفيض بهـــا القيثـ ار فاسمع حنينـه وانكسـاره

وقام صاحبي وقعد ليصل بنا الى حل معقول لهذا البيت ولكنه اخفق !

وبعد ، فهذه مشاكل تقع في ادبنا الحديث . وما أرى الا انهـا ستتسع باتساع افقه. وما أرى الا ان النقاد سيجدون وسيحنقون وتضيق نفوسهم بما في هذا الشعر الجديد من سعة .

وسينكرون جادين او متعنتين . فاذا رأينا ان نؤلف بين الشعراء والنقاد منذ الساعة وجب علينا ان نوحد من اذواق النشء بمـا ندفع بهم اليه من نوع الاطلاع الذي كون اسمى الشاعريات وما زال يكونها لا أن نفرض عليهم تذوق هذا اللون من الشعر وهم أبعد ما يكونون عنه ثقافة واستعدادا .

## القيادة الفكرية

( نشر بالعدد الاول من مجلة « ام درمان » ١٥ـ٩ـ١٩٣٦ )

الا لست اريد بها القيادة الفكرية في التاريخ وان كان هنالك الافراد الذين وضعوا في الحياة اثرهم الذي يقود الحياة ، واعلنوا في الارض سلطانهم الذي يقهر الدهر .

وخلقوا هذا التاريخ فهو عليم وقف يشرد من ذكرهم في الآفاق، وينشر من مبادئهم في العالم ، ويجدد من جهودهم في الاصلاح ، ويسير بهم الآناء ويستقيد بهم الدهر ، فلا يفتر وهم فيه ولا يشح وهم عنده .

الا لست اريد بها هذا وانما اعني بها القيادة المحلية لهذا الفكر السوداني في حين لا الامر عليه بواضح ولا المسلك لديه بمعروف.

وهذه الحياة من حوله تستجد في كل يوم احوالا من التقلب والوانا من الاوضاع يدفع بعضها بعضا الى ضرب من الحياة اشبه بالسحر وادنى الى الخيال فيه بهجة الفردوس واضطرام الجحيم وحركة العاصفة، وهو يقف من هذا كله موقف المأخوذ يقلب نظره الحائر على ألم الحرمان ان لم يكن له من يدفع به في هذا الضرم الفكري وقد صهر الاجناس على شتى انواعها من الناس ، واحترقت به الامم التي تعود اليوم اشد صفاء في العنصر على نسب بيننا وبينهم في الحلف قريب ، وانحدار كذلك من منفذ للوجود واحد ... هؤلاء الناس هم الذين قرروا في الارض جبروت الانسان وانتصاره على قوى الكون الهائلة واغرابه في صوغ الحياة الصوغ

الذي عرف الفكر كيف يوجد به دنيا سحره ومضطرب اعاجيبه فهنا العلم يغزو ويفتح منتصرا ابدا مبدعا اليوم مفزعا غدا وقد عقد له اللواء واكتمل له السلطان وانحنت امامه الحياة خاشعة مطرقة ترقب ما يفجأها به من فتح جديد ، وهنا النظريات التي تصطدم وتتآلف ، وتفترق وتلتقي ، والمذاهب المحتربة المتضادة، والاراء المختلفة المتغايرة والنضال المستمر بين العلم والطبيعة وبين الفكر والدين وبين الباطل والحق .

والدنيا القائمة القاعدة التي تشهد من هذا كله ما يزحمها بالنشاط ويضرمها بالحركة على حين تحمل في طرفها الاخر شعبا هو هذا تهدهده رعشة الزلزلة في الطرف الاخر فينام على ضور ويتهدم على فتور فمن المسؤول عنه وما هي الوسائل المجدية في استجماع أمر قيادته الفكرية عند من يحرصون ان يواجهوا به وجهة الحياة والنور .

من العجيب الا يكون للمذاهب الفلسفية او الادبية على كثرتها اثر في هذا البلد . والنضال الذي يحتدم ويستعر في بطون المؤلفات وعند انصار رأي واشياع اخر ودعاة مذهب واتباع اخر ما يصرخ بعيدا عن عالمنا هذا . وحتى الذين يقبسون لنفوسهم شيئا من هذا القبس الفكري لم يوجد لديهم الايمان القوي بان الترويج بهذه المذاهب والاراء والنظريات يصح ان يتقدم بالحياة هنا خطوة واحدة .

ولهذا فانك غير واجد عند احدهم ايمانا صحيحا او مناصرة حقيقية لما قرأ من مذاهب او شدا من افكار .

لان الواقع ان الذي يحيا هذه الحياة الفكرية يضرمه شوق عنيف الى الحديث عنها والدعاية لها بشتى الوسائل غير مبق جهدا

في سبيل تعميمها وسوق الناس اليها وبثها في ارواحهم مؤمنا بقوة الحق الذي فيها ، مطمئنا الى ما تحمل من خير ونور .

ولن تجد أيضا من يدعو او يبشر بمذهب ادبي خاص يقتنع بضرورة الاخذبه ويكافح مخلصا في الدفاع عنه والتعريف به والتحبيب اليه .

فهل معنى هذا ان ليس في العالم فكر ؟

وهل معنى هذا ان ليس في الوجود مذهب ام هل معناه انا امة أكبر همها ان نحيا الحياة في اخف اوضاعها فتلتف بها الايام ويلتوي عليها الدهر وكأن لم تتمتع ابدا بشعاع من نور العقل .

الواقع ان السودان اليوم على رغم ما يروجون عنه من دعاية للفكر كاذبة ليس هو الا بلدا لا سلطان للفكر فيه بحال وليس يألف ــ ان اتفق له من هذه الحياة الفعلية شيء ــ الا اخفها على العقل وأيسرها على النفس والا اطرافا من الفكر الذي لا يمكن الا ان يدفع بها في كل مجتمع يتألف من هذا المخلوق الناطق .

ولو قد كان هذا هو كل ما يصح ان يقوم به أمر الانسان فان الغرائز وحدها لكفيلة ان تسد مسده فلا حاجة لنا بفكر لا شأن له الا ان نعرف به بسائط الوجود . وتلك أوفى خدمة يفرض على الفكر ارواؤها ليخدم بها الحياة هذه الخدمة الضئيلة التي تمسكها على ابسط الانظمة حتى يكفل لها الاستمرار في طريق الموت وحياتنا الان ليست بخير من هذا فلا فكر كما قلنا يزحمها بالنشاط ولا مذاهب ولا آراء ولا حركة للعلم ولا دماء من المعرفة ولا قيادة في كل هذا تحاول ان تقدم لنا الغذاء الصالح لنندرج به في سبيل العقل الذي يمسك بطرفي الدنيا فيفرجها عن كنوز هي نصيب

الانسان وحده وبها يملك من معاني الانسانية اروع برهان على خلافته في الارض .

واذا كان لدينا من يؤمنون بوجود هذا الفكر الذي يخلـــق التاريخ وينضر الحياة ويحقق السعادة ويخلد الانسان فانهم لا يبشرون به ولا يدعون اليه حتى لقد الفنا يوم كان لنا ان نعرف ان في العالم فكرا هو غير هذا الذي نحمله على نسيان له ،ونشقى به على تغاف عنه ان نقتنع بانا لم نخلق لمثل هذه الحياة وما تزال بنا هذه الالفة حتى لتوشك ان تعود حقيقة لا مفيض من الوقوع لديها ما دام الواحد من هؤلاء المثقفين لا يطمع في اكثر من انيقود نفسه الى القراء ولن يفرضها عليهم وهم يجهلون كل شيء عن مدى ما تأخذ الحياة الفكرية منه .

الحق ان المكلفين بقيادة الفكر في هذا البلد قوم لا يقودون الا انفسهم الى الناس في الوان من الكتابات ليس لها من القيمة ما يهيأ لها النفوس ويستلفت لها النظر .

والكاتب ان لم يفن في الحياة ويدن الى الامة فيما يحمل لها من صور واراء ويضع فيها نفوذه الشخصي وايمانه وحريته ودم قلبه وآثار روحه في صدق النبيين واخلاص المجاهدين قاصرا كل قواه على ان يثير فيها من الشؤون والافكار ما هي مؤمنة بـــه لا محالة ، عاملة له من غير تردد ، فانه لن يكون في انتاجه لها الا منسيا ابدا ضائعا ابدا مستنفذا جهده في غير ما طائل من ذكرى أو أثر .

وتلك هي الحقيقة التي يقع تحتها كل كتاب هذا البلد عى قلة من تعني باسم الكتاب ، وانالواحد منا ليكتب كثيرا ولكـــن ان رجع الى كل ما كتب ليقيس مدى ما ترك من أثر في تحويل الفكر

أو توجيهه او تلقيحه باللقاح الذي يقدر له ان يخلق في نفوس قرائه ما كان يقصد به اليه لم يلق الا كتابات تطول وتقصر على محض كلام هو كل ما لا حاجة ببلدنا اليه لان اصحابه يزورونه على نفوسهم ويختلقونه اختلاقا محاولين ان يصبحوا به من طبقة الكاتبين لا غير هذا وانهم ليخطئون جدا في محاولة الوصول الى لقب الكاتب او المصلح او المفكر من وراء هذه المحاولات . وما هي بمحققة من ذلك شيئا الا ان تنعكس دليلا على انا نجهل طبيعة الفكر الذي يقود وخصائص الكاتب الذي يصلح ونغرر بانفسنا ونستخف بقرائنا ونخادعهم عن حقيقة ما نحمل في انفسنا من هواء فلا نطلب اليهم ان يتلمسوا بايديهم اثر الفكر الحي فيما عند غيرنا من حياة .

ولو قد فعلنا هذا ونفضنا ايدينا عن الكتابة لأعنا على بلوغ هذا البلد ما يدفع عنه الكسل والفتور والموت الفكري الذي جنيناه عليه .

ولكن افليس من طريق لان نستخلص لنفوسنا القيادةالفكرية الصادقة التي تلهب عليه الحياة نارا عقلية يضرمها التعهدويذكي من وقدتها الانقطاع الى العمل في الهابها كلما خبت بتقديم الوقود وبذل الجهود .

اعتقد ان ذلك سهل ميسور ان استطعنا ان نستخدم «الوسائل المجدية في استجماع امر هذه القيادة » ، ولكن الصعوبة في ان هذه الوسائل ليست باليسيرة الهينة حتى في هذا البلد الذي يخيل الى الكثيرين ان خلو الجو فيه من الافكار القوية معين على ان يبلغ الانسان منه الى ما يريد من قيادة وتأثير . على ان الطور الذي تمر به بلادنا الآن يجعل الوصول الى قيادة فكرية يناصرها

الجميع ويخلص لها الكل أمرا أعسر مما نتصور له من عسر ومطلبا ان يتحقق فانما بعد عمل متواصل وجهاد وصبر شديدين ـ اذ ان المرحلة التي تقطعها بلادنا اليوم هي مرحلة الغـــرور الكاذب الذي يصاب به الجاهل فما يكون اشد عليه منه في الوقوف به حيث هو يعطي نفسه من الثقة ويسوغها من الكمال وينتحل لها من الرشد ما يملؤه استخفافا بكل من يتقدم ليأخذ بيده مما يتردى فيه من ظلام .

واي الناس ممن تلاقي وتعرف وتصادف من لا يرى انه غني بمعارفه راض بوفرة نصيبه من الفكر قانع بما حصل عليه من ثقافة لا مزيد عليها مطمئن الى ان في مكنته وحده ان يقود البلد في طريق الفكر حتى يزحم به مسالك الفلسفة والعلوم والآداب .

وحتى الجهلاء من سواد الامة يأنسون في اعماقهم الى ثقة تتهم المفكرين وتتحدى المصلحين .

وهذه الحالة هي كل ما يجعل أمر القيادة في السودان أسمى من ضعف انهم يعيشون فيه ويترددون في سبيله ويختلفون الى من ضعف انهم يعيشون فيه ويترددون في سبيله ويختلفون الى مجامعه كان مجردوجودهم فيه يجعل من المستحيل ان يعترف بهم ويطمئن اليهم في أمر من اموره الفكرية .

ولكن مع هذا فلا بد لنا من قيادة فكرية محلية تدفع فينا الحياة وتبعث فينا القوة وتروضنا على حرية الفكر وتسلك بنا في حياة ادبية رافهة الصور مملوءة بالسحر والفتنة والجمال .

ولا شك ان هذه القيادة لن تخلق خلقا ولن يقلدها عضو واحد من هؤلاء الناس ، وانما هي عمل وكفاح ومنافحة وسلطان تكونه

شتى عوامل اليقظة الفكرية من فرد او افراد تميزوا بهذهاليقظة واتصلوا بالوجود اتصال فهم ومعرفة وتفسير ، وافرغوا في رؤوسهم نفسية الامة وعقلية الشعب كلـــه واخلصوا له الولاء واصدقوه العمل .

ويومئذ يقودون الامة مرغمة او غير مرغمة الى مثلهموغاياتهم ويصرفونها على مختلف الاوجه مؤثرة فيهم متأثرة بهم بالغين بها المرقأ الامين من مرافىء الحياة التي يصنعها الفكر ويتأله فيهـــا بسلطانه .

واذن فلا مطمع في هذه القيادة لمن لا يعرف اولا كيف يقرر سلطانه الفكري ويدل على موضع الحياة والقوة والقهر منه : فماذا اعددنا لهذا من وسائل واساليب ؟.

## الآثار الشعرية المبهمة

( نشر بالعدد الثاني من مجلة « امدرمان » ٣٠ـ٩ـ٣٦)

كم من الشعر ما لو حاول القارىء ان يفهمه عن غير طريق روحه لم يكن موفقا في فهمه او الاستمتاع به .

ولكي يصل منه الى نشدته من المتاع واللذة فان حاجته الى نصيب غير قليل من ( الوهم ) الشعري شيء لا بد منه لمن ينشد هذا المتاع .

فاذا التقى به وفتح اخلاق نفسه يستقبل ما ينهمر عليها من صيبه السحري لم يجد لديه يومئذ ما يجعل في حدود استطاعته ان يعرف من اي اللذاذات تكون هذه التي يحس لها اثر السحر ولكنها ليست به .

فقد تكون نشوة او طربا روحيا تجهل انت من بواعثه اكثر مما تعلم اعني انك تعرف انه من هذه القطعة الشعرية الرائعة وكفى .

ولكن لا تدري ابدا حقيقة ما اثارت هذه القطعة في دمك من الوساوس والاوهام التي تزحم عليك نفسك ثم لا تلبث ان تبني في كل خلية من اعصابك هيكلا سحريا عجيبا تملؤه الخيالات وتعمره احلام الشعر .

وانت بعد على ما تحس من زخرة كل هذا وثروة معانيه وجمال

اثره في نفسك اكثر حصرا ووعيا من ان تحمل هذه الدنيا النامضة في كلمات من اللغة لتدفع بها الى هذا الفضاء ، ولترفع عن مشاعرك ذلك الضغط السحري المحير الذي تلذه وتشقى به .

وتلك هي الآثار الشعرية المبهمة التي نعنيها ونتوجه اليها بهذا الحديث .

وحتى الحديث في هذا لا يكاد يخلو من عوارض الابهام لما يمتنع به من مغاور وانفاق في مسابح الاحساسات القصية التي تعيش في ( ظلام ) النفس بعيدة عن سيطرة هذا الفكر الذي يجد من نمائها ويبدد من كثرتها كلما وقعت تحت وعيه او اتصل بهامنور منه ... حتى هذا الحديث وحي اثر لن يقوى احد على استيضاحه بالهجوم عليه في مكمنه هكذا مرة واحدة وانما يأخذ منه بالمحايلة ما يأخذ ويفر من بين يديه منه ما يفر .

ولكن هذا الغموض لا يمنع ان تستوضح منه الانظار ــ بعض الشيء ــ ما لهذه الآثار الشعرية المبهمة من قيمة في تكوين النفس تكوينا داخليا خفيا يأخذ في الجلاء والوضوح بقدر ما تأخذ هذه الآثار في الغموض والابهام ولا يمنع ايضا ان تستجلي ما لهذه الآثار من عمل اخلاقي غريب في مجموعة الصفات النفسيـــة للانسان .

والشعر الذي نقصد اليه ليس هو فقط ما يتردد في ظاهر النفس ويتقطع صداه في صفحتها .

وآثاره ليست هي هذه التي نتلمسها بلاغة وصونا وافتنانا في التعبير ومقدرة على التأثير الوقتي الذي يحملنا على الاعجاب بالشاعر يوم نسمع له شيئا من هذا ثم لا نكاد نحفظ له من الاثر في الاعماق ما يستحيل لقاحا سحريا لحسنا الخفي وشعورنا

المبطن الذي ان قوي ونمي واصطلح مع الفكر كان خير معين على بعث الحياة الادبية الهائلة المدفونة في دمائنا .

والحق ان ليس اعجب من هذا الحس البشري الخبيء تكمن فيه التأثيرات المتباينة لشتى المشاهد والمناظر والقرارات فيكون لكل منها مخازن واغوار وثقوب واعشاش يستفرخ فيها ويتجنح ثم ما يزال يضرب باجنحته جوانب النفس حتى يضرم فيها اشواق لا تبردها قراءة ولا يكسر من حدتها شيء .

فاذا كان الشعر هو بعض ما ينزل هذا الحس فان ثمة ما يقف دونه العجب وتنتهي عنده الدهشة .

هذا الحس الذي تملؤه حياة واحدة ليكون اكثر افتنانا في تلوينها من الحياة نفسها وبحسبه منها ان تمده بالاثر الواحد ليصنع منه ما لا حصر له من الصور الخفية والاثار المتنوعة والالوان المختلفة التي لا توجد في حقيقة الحياة والتي يحمل رسالتها الشعر موفقا في بثها بين الدماء الشاعرة فتختلف اثاره فيها قوة ووضوحا ولبسا وابهاما .

أما ما اتضح من هذه فهو محدود النتيجة معروف العمل .

واما في كثير مما انبهم منها ما تقوم به حقا مهمة الشعر . وهل هي الا مهمة خلق وتجديد ... تجديد للقوى الانسانية العليا في النفس . وتنبه للمشاعر الشريفة في الاعصاب وسمو بالروح الى حياة ملائكية بحتة .

وكم نفس استطاع الشعر بلينه ويسره وموسيقاه وغموضه وشدته ايضا ان يغير منها كثيرا في ساعة استعداد خفي للانتقال المفاجيء من شعور الى شعور . ومن هنا دائما تكون الآثار الباقية التي تتركها قراءة قطعة شعرية رائعة في نفس احدنا فلا يكاد

ينسى وقعها واستقرارها فيه وما اثارت يومئذ في دمه من خفة وطيش او هدوء وتفكير او تقبض وانكماش او اي الآثار مما تفيض به قطعة الشعر .

يذكر كل هذا ويختزنه في فمه ملفوفا بغواشي ظلام خيالي لا يمكنه من استيضاح كل ما هنالك ، ولكنه يلمح له بواحدة واحدة من مختلف الآثار الذهنية ويطل به في ثقوب نفسية مبهمة الصور الا قليلا ما يتلمح فيها من ضياء الذكرى ، وكل لذة الشعر انما هي هذا كانما اتبعت الشعر ليزود النفس بهذا الضرب من الحياة التي ان لم تجدها في الشعر الراقي لجأت اليها في الاساطير الملفقة ... وقيمة هذه الآثار في تكوين النفس وعملها في مجموعة الصفات الفردية شيء تلمسه لمسا لاول ما تتصل باحد هؤلاء الذين يستكثرون لانفسهم من قراءة هذا النوع ويقصرون جهودهم على استقطاره من بين حنايا انفسهم الزاخرة بالوساوس والاحلام فهم يستبدلون بنظرتهم العابرة في كل شيء نظرة متريثة بطيئة معللة تفلسف فيما ترى وما تلمس وما تحس ولكنها فلسفة يسندها الخيال في اغلب جوانبها اللعينة .

ويأبون الا ان يفهموا الحياة هكذا شعرا من فرعها الى القدم .

يؤثرون دائما الصمت ويحرصون على الحديث الى دخائلهم وطواياهم اكثر مما يطيبون به مع مخلوق حتى الاحباء بل ليس لهؤلاء في الواقع حبيب بعينه ، وان كان فهو «شيء» لا يمشي على رجليه ، ولا يضطرب بين ظهرانيهم. شيء لم يعرف بعد ، مجهول ، لا شكل له فيما يرون من هذه الاشكال .

وهؤلاء نوع خاص من الشعراء يعيشون باوهامهم المهذبة عيش المتصوفة الاطهار .

وذلك كما ترى تغيير هام في مجموعة الصفات والاخـــلاق وشذوذ انساني عجيب في تكوينهم النفسي لا اصل له الا ما تدفع به في مغاور شعورهم هذه الاثار الشعرية المبهمة .

# القمر والزهر
# واثرهما في الشعر العربي

(نشر بالعدد الثامن من مجلة ( ام درمان ) في ٣٠ـ٩ـ٩٣٦ )

ذهبت والبدر ــ وقد والله هذه ليلته الرابعة عشر ــ يتحدى الشمس بما يفيء علينا من نور وظلال ولكن اي نور مما يتطرى به القلب ويندى به الحس ، ولكن اي ظلال مما يغير بها طائف خفيف من الشعاع كأنه الحكم الهادىء الرقيق تسري به في جنبات النفس سنة خفيفة هانئة ، ومضجع سعيد رافه . ذهبت الى احدى حدائق الخرطوم في امسية كانها مما زخرف الامل الحلو ووشى الخيال الشاعر . وقد قطعني فيها عن المضي الى داري مشاكل ما انا بخال منها ابدا كلما اقترب على المجلة الاوان ولامسها احد طرفي الشهر .

فبقيت حيث انا ، حتى اذا ضقت بما في المطبعة من عجيج وحركة خرجت الى حيث انا ذاهب الآن معتزما في نفسي كتابة الموضوع الذي ارى ان قد تأخر واخذت منه المشاغل حتى لكاد تفيتني اياه .

وكنت يومئذ احمل في رأسي فكرة تامة عن الموضوع . وكان هو ان تهيأ واستقام من تلك التي يعدها بعض القوم جافة لانها من نوع ما تكره عليه النفس التي لم تنعقد بينها و بين امثاله الفة ويؤخذ عليها الفكر اخذا عسيرا ان كان القارىء من اولئك الذين

يحيون الحياة ملساء رخوة لا عسر فيها ولا اخشيشان . بل من اولئك الذين قد يضعون حتى كلمة اخشيشان هذه في قائمة ما ينبغي ان تعفى النفس من الحمل عليه او الاتحاف به ، لانه يكلفها سماع ما لا تستأنس به أو تطيب له .

وكنت لا ارى بدا من كتابته لانه يقوم مني مقام الايمان ويحتل مني مكان العناية . فلا خلاص منه الا بان اتوفر له هذه الساعة حتى انفض يدي منه الى غيره من شؤون المجلة ، ولكني انسيت فجأة كل هذا ، انسيت حتى الموضوع وحتى الناس وحتى المجلة وانصرفت الى ما قوي في نفسي من هذا المرض الشعري الذي اعيذك من ضراوته يوم يطغى ويعنف .

فليس من تعاويذ السحرة ورقي المطببين ما هو مستطيع بحال ان يذهب به عني . فانا مأخوذ منه بكل اطرافي مذهوب بي فيه بكل وجه مما تتلمح فيه قطرة من جمال شعري قريب او بعيد اظل اتاول لها في الفكر الصلة والدلالة والغاية واطلب فيها ما يطلب في الكلام من مجاز وكناية .

واستعين على فهمها بوسائل هي في الواقع اكثر منها شماسا وابعد مطلبا ان اخذت على غير وجهها في حقيقة الوضع .

والا فماذا في قواعد البيان والبديع وما الى البيان والبديع مما يصح ان يكون مرجعا في هذا او عونا عليه .

ولكن لا فان التجربة الناجحة هي التي اغرت بهذا من قبل . لقد اخذت مكاني في الحديقة من بين تلك المقاعد التي احسدها على طول ما اقامت وتقيم بين هذا الجمال المفاض والنعيم المفرغ وقذفت بما في يدي جانبا وكان اضبارة من ورق ابيض .

وتعرفت الى جوانب المكان فاذا هو خلو الا من اوانس من اولئك اللواتي في كل ما يتصل بهن مشابه من هذه الحديقة بهجةوشبابا ونضرة والهتني طلعة البدر وروعة الزهر وتزاويقه واصباغه عما امعن له من شأن فاذا انا احلم وافيق ولكن كما يفيق المسحور وامنأ بهذا الحلم والذه الوانا من اللذة التي ما ذكرت اني مفارقها الى لقية اخرى الا وامتلأت نفسي لها الوانا من الحسرة والالم لان داري ليست مما تنبت الزهر وان اطلعت القمر ! وهي بماانشقت عنه وزهت به من شجرتي الحناء وتلك التي لا اعرف لها اسما والنخلة التي غرست يوم ولدت تسعى لتقنع بانها مطلقة الزهر ايضا ان اردتها عليه .

ولكن لا يا داري فانهم يقولون ما كل هند هند !!

وركبت رأسي نشوة جعلتني اضيق ما اكون بافسح ما كنت له . فانا الآن لا اقصر همي على ان أتملأ من هذا الجمال والحسن وكفى . وان بي لطماحا ولهفا الى شيء لم اتبينه لعله ذلك الخاطر العجيب الذي يقول ابلع هذا واستنش ذاك وخذ البدر في يدك وسر حيث شئت !!

لعله من هذا فما بعجيب على مرضى الشعر ذلك وليس اجن منهم في عرف الواقع ينعمون في موقع الايمان منهم بما يسخر به الاطفال في موضع الكفر .

ولا استبعد ان يكون هو وان لم احاول ان اخبر بنفسي كيف اطوي الحديقة واستخلص الى يدي القمر !

وتفقدت نفسي فاذا انا فاغر الفم موضوع الاعضاء على نظام لو نفخ فيه لطار ، بل لطرت أنا . اذ كنت مستغرق الشعور كمن يستمع الى موسيقى ليست هنا فهو في جلسته « موزون » بها

على تقاطيع الشعر ومختلف انواع النغم .. وتأبى « المضايقات » الا ان تلحقني حتى هنا .

صديق خبيث ظل يتأثر في على غير علم مني حتى اقتحمت الحديقة فاقتحمها هو واضطجع منها جانبا في العشب وخلى بيني وبين ما اريد حتى اذا رأى اني اطيل في المكث ولا اكتب وفي ضوء القمر ما يمكن من هذا مشى العزاء لئلا اراه ووقف خلفي منشدا :

خذ من محيطك ما تبغي فان بـه
ما شئت من قمر حلو ومن زهـر

قلت !! قاتلك الله أفانت هنا . ومن قال لك اني جئت لاكتب ومن اين لك ما انشدت .

قال عفو البديهة ولا والله ماتهيأت له ولا تعصرت فهل لك ان تنظم لي هذا قلت لا ولكني ساكتب عن القمر والزهر واثرهما في الشعر العربي من يوم ان اتصلت به ايامه المترفة ودرج على ضوء من فتنة فارس فيما تزخر به قصورهما من هذا النعيم والترف ولم يكن من قبل يتوفر في هذا الا ما لا غنية فيه لاحد .

نعم كانوا ينعمون بهذا البدر اكثر مما ننعم به نحن ينعمون به على ظهور الخوف الخيالي المطول وعلى مضارب الخيام وكم هناك لبدر من سحر وفتنة .

ومن لم ينعم بالبدر في الصحراء فهو لم ير بدرا قط غير ان اكثر الصور الادبية التي تشير اليه وترمز الى سحره محدودة ضيقة فيها بساطة البدوي وجفاف بيئته. ولو اجتمع حتى اليوم من الشعر ما لا يرمز البدر فيه الا الى وجه المرأة لاستوى

مجلدات ومجلدات ولو اجتمع ايضا ما لا يمثل الزهر فيه الا خدر الحسان لاستقام مكتبة باكملها .

ولم يفتح الله حتى الساعة على كثير من الشعراء ما يستخلصون به من طلعة القمر والزهر الا ما معنى عليه البدوي في جاهليته الاولى .

وكانوا ينعمون ، ايضا بهذا الزهر ولكن نعمة البدوي بما يرى انه متاع الحضر حتى اذا اطعمتهم فارس صنوف حلواها بالهجرة ، وارتهم مباهج دنياها بالفتح ، ولقحت الذهن العربي القوي بخصائص ليست له من قبل واضافت اليه من رحابها من نفخ في الادب من اناس فارس وخلاصة ذهنها الخصب وحياتها الرافهة كان لهذا الشعر نبأ آخر في زعمائه المجودين وامرائه المترفين ومشاهيره من صاغة الكلام ، وكان لهذه الحياة العربية نبأ آخر ايضا يفسره الانقلاب العظيم الذي طرأ على الجزيرة فنفض في اول اعماله من الخمول والصمت واشعلها حركة داوية لا تسكن الى متع الحياة وزخرفها الزائل فاذا ما اطمأن الاسلام هناك واذا نفذ الى الاصقاع والممالك وهيأ مكانه فيها وانكمشت الخلافة الرقيبة المحافظة الصارمة بدأ يومئذ العهد الجديد يتفتح عن مباهج الحياة .

فهؤلاء ندماء الخليفة في قصره معه . واونس مغنوه وتكلم جواريه وغلمانه وخدمه وحشمه وشعراؤه ومفرحوه ومدخلو السرور الى قلبه وفيما بين هذه الاحياء تنتشر مجالس الشباب المترف ومجامع اسماره ويستكثر الامراء والولاة لانفسهم من المتع واللذاذات ... كل هذا يكون فتنفرج الدنيا عن كنزها الخبيء ومتاعها المحجب وتفيض النفوس بالادب المترف الجميل .

ويحرص الامراء والعامة على اجتناء اللذة الادبية مما يستلهمه لهم الشعراء من شتى مظاهر الوجود التي لم يعودوا يقنعون منها بشيء قليل ومضى الشعر يأخذ من ترف الدولة وفراهة الحياة ورفهها ما يأخذ ، وكانت الصور المعزية الفاتنة ، والتصـــورات المحببة الجميلة ، يمدها الحسن الشائع في الوجود ومن بينه بل وفي مقدمته هذا القمر والزهر . وشاعر امير كابن المعتز يمثل لنا اهم نواحي هذا الادب المترف بتصوراته والتفاتاته العجيبة في كل ما اتصل بحسه الرافه .

وللقمر عند ابن المعتز مكان العناية والايثار فهو يتطلع اليه هلالا كالزورق الفض المثقل ، وما يزال به يسايره حتى يعود به من المحاق كأنه وقف أي ( دبوس ) من العاج :

في ليلة أكل المحاق هلالها حتى تبدي مثل وقف العاج وفـي ارجوزته البستانية اطرف ما تقرأ في وصف الزهر وتشابيهه واغرب ما ترى من حدة تصور ابن المعتز وبعد التفاتاته الذهنية.

ولقد اثارت الزهور بين كبد الشعراء مناظرات ومساجلات عبقة بهذا العطر الخالد فخلفوا لنا ثروة من ادب الورود هي اليوم اصدق ما يحدث عن حياة الفن والجمال الخالص عندهم وعـــن مجالس الانس ومجامع اللهو والشرب ، وما كانت تزخر به من ظرف ولباقة وافتنان . وابن الرومي كان دائما يأخذ بحظ غير قليل من هذا وهو معروف بحبه للنرجس وانتصاره له وقد قال في نرجسة : ــ

ظلـت تسامرنا وقد بعثـت ضوءا يلاحظنا بلا لهـــب

وعي بن الجهم وابو الفضل المكيالي الذي يقول في وصـــف الشقائق :

كـــأن الشقائـــق اذ أبرزت ... غلالـــة داد وثوبـــا احـــم
قطاع من الجمـــر مشبوهـــة ... فاطرافهـــــا لمـــع من حمم

وابو فراس الحمداني الذي يقول في الجلنار :

وجلنـــار مـــشرق ... عـــلى اعالي شجره
كـــان في رؤوســـه ... احمره واصفـــره
قراصنة مـــن ذهب ... في خرقة معصفره

وابو الفتح كشاجم الذي يصف النرجس فيقول :

ونرجس زاكي النسيـــم بض ... مثل العيون رنقت للغمـــض
ترنو فيغشاها الكرى فتغضى

وابن هاني الذي قال في زهرة رمان وقد شارها الشائر قبل اكتمال النضوج :

وبنت ايـــك كالشباب النضر ... كانها بين الغصـــون الخضر
جنان باز أو جنـــان صقـــر ... قد خفقته لقـــوة بوكـــــر
كأنما سحت دما من نحـــــر ... أو نبتت في تربة من جمـــر

وغير هؤلاء ممن تفتقت مشاعرهم وانشقت لهم الدنيا عـــــن مفاتنها فوصلوا منها الى سر الجمال ونفذوا منها الى اعماق الفتنة. ولولا ما ارى من ضيق الصفحات لذكرت للقارىء هنا اروع ما دار حول القمر والزهر من شعر حتى يتبين ان لهما ثلث الادب العربي .

وبعد : فلقد صرفني القمر والزهر ليلتئذ عما قصدت اليه ، حتى دفعت الى القارىء بما لم اقصد ، والقيت الى فرصة اخرى ما اريد ... وكم للقمر والزهر من فتنة واغراء !

## المعهد العلمي في ربع قرن

( نشر بالعدد الثالث من مجلة ( ام درمان ) في ١٥ـ١٠ـ١٩٣٦ )

في ربع قرن .

ويا لعظمة القرن . لقد هال حتى وزع ارباعا . فما عدا ان اصبح اربعة اهوال في واحد منها ما يملأ الفم .

ويزحم الاذن وتنقطع له الانفاس ، ولقد هال حتى عاد في روعته كالاسد كل شلو منه حقيقة تامة من حقائق هذا المخلوق في قونه وبأسه .

وذلك هو هذا بعينه يوم تقول ( ربع قرن ) فما تعتم ان تدفع في النفس بعظمة هذا الجزء من الزمن الذي عينته بخمسة وعشرين عاما قطعت ما بينه وبين عظمة القرون !

وان بعض الناس من هؤلاء الذين يهولهم اسم « الجنيه » ليكاد لا يصدق ان مدلول خمسة وعشرين قرشا هو بعينه مدلول ربع الجنيه الذي يكسبه الهول في نظرهم انه اقترن باسمه فانقلب هو أيضا الى حقيقة الجنيه الكبير !!

وانا والله ايضا يوم التفت بفكري الى اني طويت من عمري ربع قرن اشتد في حساب نفسي كم احرزت وكم اصابت اكثر مما لو مر بخاطري اني اسجل بين الاحياء الان خمسة وعشرين عاما فقط !!

تلك كلها توهمات الفكر التي يختلف بها بين كليات الاشياء وجزئياتها حينا فيمد هذه من تلك حتى يلبس بينهما بعمل لفلة واحدة ، وكم لهذا من قيمة في خلق الثقة والاعتزاز ... ذلك الاعتزاز الذي كان جميلا يوم القى الى صديقنا الاستاذ العالم الشيخ ابراهيم يعقوب ان يدعو الى الكتابة عن ( المعهد العلمي في ربع قرن ) .

والاستاذ من الاركان الذين خرجهم المعهد العلمي فشغل بعضهم مناصب التدريس فيه ، وانصرف بعضه الى المحاكم ، وانفرد هو مع اخ له آخر بالتدريس في معهد الخرطوم . فليس بدعا ان يحرص على ان يؤرخ للمعهد الذي نشأه وسوى منه عالما ينضح من غلة هذا البلد الظامىء وينشر بين ابنائه نور العلم والمعرفة والايمان .

لقد كان ذلك اقل ما نرقبه من اخواننا طلبة المعهد وخريجيه في وقت احوج ما يكون المعهد فيه الى حركة كهذه تحفظ عليه آثاره وتدعو له بين هذه الامة التي يتداركها الله في وقت يجهل فيه بعض الناس ان في السودان معهدا علميا خرج حتى الساعة من علية العلماء المحققين عشرات وعشرات وما تزال بين يديه الآن مئات العلماء من الشباب الذين ليس بينهم وبين هذا الشرف العلمي الا ان تهبهم المشيخة ( اوراق الشهادات ) .

وحقا لقد كان لكلمة الاستاذ ابراهيم التي نشرناها له في عددنا الماضي صدى جميل في نفوس من يحرصون على ان يكون للاعمال الكبيرة في هذا البلد سجلات تؤرخ لها ما أسدته للبلاد من خير ونور سواء في ذلك دور العلم وغيرها من كل ما يدخل في دائرة الاعمال الكبيرة .

ولا شك ان القيام بهذا يعد عملا كبيرا أيضا لما يترتب عليه من امر النهضة التي تسير على بينة وتقوم على اساس وما ستعقبه من فضيلة التنبه العام لانماء هذه الاعمال ورعايتها حتى تبلغ مبلغها من المنعة والقوة .

وفكرة الاستاذ ابراهيم ليست حديثة العهد ولا جديدة على الاسماع فلقد كان يتحدث بها الي منذ سنتين طالبا الي في ثقة الصديق الذي له بالمعهد تازع عرق ان انهض بهذا العمل وحدي بعد ان اكون قد جمعت له من الوثائق والمعلومات ما يكفل لي القيام به على أتم وجه .

وكنت أرى يومئذ ان يوكل هذا العمل الى لجنة تبحثه وتتقرى جوانبه حتى تستوثق من صحة ما تكتب ، معتمدة على الوثائق الرسمية المحفوظة بادارة المعهد فيما يختص بالناحية الحكومية والاهلية منه وفيما يتعلق بانشائه وكيف سار وكم يدا اسبغ على هذا البلد ، وما الى هذا مما يحفل به تاريخه المجيد. وسيجر الحديث عنه بالطبع الحديث عن رجالاته الذين نهضوا بهذه النهضته الحاضرة واتصلت حيواتهم به حتى لتكاد تكون قطعة من تاريخه لن يكون فصلها عنه الا اقتضابا وبترا في سلسلة حاضره وماضيه .

وسيتناول كثيرا من الجوانب التي يبعثها الكتاب يوم يتاح لهم ان يجيبوا داعي الله والوطن في تنفيذ هذا الامر الجليل .

ولعلهم موجهون غدا العزائم الى تحقيقه خدمة للعلم في بلد ما ينقصه مثل الدعاية للعلم .

قلت ان الاستاذ اسر الي بهذا الحديث منذ سنتين ، وقد طوينا

الحديث على أمل العودة اليه . ثم التقينا اخيرا وقد شغلت الفكرة مكان العقيدة من نفسه ، واذا كلمة بين يديه يكاد يسيل من اطرافها عنوانها العريض ولفرط ما يعجل الاستاذ في غايته منها بدأها من نهايتها صاعدا في غير المألوف من محايلة القارىء حتى يستأنس بما يلقى اليه ، وانما يفسر ذلك كله حدة الفكرة وقربها من نفسه هذا القرب الذي يقطع على الكاتب طريق اللف والنشر والتطويل .

ولقد بلغ ما اراد تبليغه من دعوة الكتاب والمتصلين بالمعهد الى القيام بواجبهم نحو هذه الدار ، فما موقف الكتاب والمتصلين بالمعهد من هذا النداء ؟

لقد اصبح لزاما على كل من توجد لديه معلومات قيمة طريفة عن المعهد ان يدلي بها حتى يعين على وضع هذا السفر عنه في مدى ربع قرن ليس بالشيء السهل هنا ــ ولو قد هيأ للازهر مثلا ان يجد مثل هذه الدعوة له في فاصلة كل خمسة وعشرين عاما لاستقام لنا من تاريخه اليوم اربعون مجلدا كل واحد منها موسوعة شاملة للعهد الذي كتبت فيه من كل ما يتصل بالازهر من سير وتراجم وشؤون فينبغي وقد تنبهنا نحن الى هذا الا نبطىء في ادراك ما افلته الازهر وعاد يستعيضه بعد عشرة قرون لن تستطيع مصر كلها مهما بذلت من جهد ان تسترد ما فقدته فيها مما لو كتب في وقته لكان اليوم تاريخا لمصر كلها لا للازهر وحده ، لما كان له قبل هذا من قوة الاتصال بالحياة المصرية والفكر المصري .

وعلى اية حال فانا لم نشك يوما في فائدة ما ندعو اليه حتى نقصر الجهد على تبيين جدواه اما من حيث ما يعنينا خاصة ويتصل

بنا من هذا النداء وهو ان نصدر عددا خاصا بالمعهد فنحن ما نرى بأسا من العمل في تحقيق ذلك ولكن وراء اقتراح ايضا ان تم فقد تم كل شيء .

فالمجلة كما يعلم القراء لم تستوضح طريقها بعد ، وهي على حداثة عهدها تسير على شح في المادة يحول بيننا وبين عمـــل كهـــذا .

ولكن لكي نوفق الى اصدار هذا العدد الممتاز الذي ربما وقع في مائتي صفحة مثلا او أقل او بقدر ما يصل الينا من كتابات ، نرى ان يكون ملحقا للمجلة شبه مستقل عنها يباع ثمنه الذي نقدره له فيما بعد او قل بخمسة قروش على الاقل تدفع مقدما ضمانا للشروع في هذا العمل وحينما يصل الينا المبلغ الـذي يمكن من اخراج العدد او الكتاب على الاصح نشرع في اصداره باذلين كل ما نستطيع في سبيله من جهد .

فما رأي القراء في هذا ؟

سننشر كل ما يصل الينا حول هذا الموضوع مما يرى القراء ثم نعلن عن قبول الكتابات وفتح باب الاشتراك استعداداللشروع فيـــه .

## ال فلان وال فلان

( نشر بالعدد السادس من مجلة « ام درمان » بتاريخ ٣-١١-١٩٣٦ )

آل فلان ـ كلمة اخذتها حياتنا في بعض ما اخذت من تقاليد ووقفتها على الاغنياء ومن في حكمهم من الوجهاء واصحاب المناصب . وهي يا صاحبي كلمة عربية فصيحة لم يختص بها لسان العربي غنيا ولا فقيرا وانما وضعها واشاعها بين هذا وذاك .

كما ان لله في خلقه شؤونا فان له في هذه اللغة شؤونا ايضا اذ لم يكن لهذه الكلمة شأن من قبل الا كما كان لكل هذه الكلمات الاخرى فماذا خرج بها من وضعها المتواضع واجراها مجرى الكلمات الكبيرة التي تهول والتي ترهب واصبح لاحق في استعمالها لغير هذه البيوتات الكبيرة .

أما الفقير ، اما رقيق الحال فلن يكون الا معرضا نفسه للهزء والسخرية يوم يحاول ان يقول عن اهله « آلي » ، ولو كانوا في مثل شعر رأسه عددا .

واما اغنياؤنا ووجهاؤنا فهم يرعاهم الله ويحفظ خزائنهم قوم لكل منهم « آل » ، ولكل منهم اسرة ، هل الدنيا باسرها قاعدة قائمة كما يخيل اليك انت ان كنت ممن لم يعرف كثيرا ولا قليلا عن هؤلاء السادة الاغنياء . والواقع ان بعض الاغنياء لا يد لهم في خلق هذه الالقاب وانما هي بعض صحفنا التي تروج لهذه الالقاب حتى لقد عدنا نسمع في كل يوم التبشير بآل جديد في اعلانات الشكر والعزاء وحفلات الزفاف والمآتم وغيرها ، ولعل صحفنا مقلعة بعد اليوم عن هذا الاتكيت الجديد من فن الدعاية الكاذبة .

## سلحفاة شركة النور

( نشر بالعدد السادس من مجلة « امدرمان » )

وما ينكر القارىء من هذا العنوان ؟

انه لصحيح ليس فيه ما ينكره احد من الذين استقلوا ظهر هذه السلحفاة لا للبعث واللهو وقتل الوقت ولكن للعمل والجد وكسب الوقت على ان سلحفاة الشركة هذه لا شأن لها بهذا ولا بنا نحن بل سواء عليها أكنا متعجلين ام مطمئنين فتظل على حد ما يقولون « تمشي الهوينا كما يمشي الوجى الوجل » .

والله وحده يلطف بك من الحرج والضيق والملالة ساعة ينقطع زحفها في احدى محطات المقابله . انك لا تملك يومئذ ان تصرخ ان كنت من الصنف العصبي وكنت في الدرجة الثانية وفي نحو الساعة الثانية مثلا فالشمس ليست ببعيدة عنك . انك لتكاد تتناولها قاعدا حتى لكأنها ــ تابعة ــ لشركة النور لا يحجبها عن زبائن الشركة ركاب الدرجة الثانية غير حجاب المغيب .

وسلحفاة الشركة هذه اذا امسى عليها المساء رجع مستخدموها ينفضون على مكتب خزينة الشركة أكياسهم التي لم يبق فيها مكان يسع قرشا آخر .

كل هذا وشركة النور لا يهمها شيء من راحة الركاب ولا من وقتهم ما داموا يدفعون لها الاجر كاملا غير منقوص .

فالى متى نحن صامتون على هذا ايها الناس !

أفليس ثمة من عمل حاسم ترغم به هذه الشركة على ان تعدل من خطتها هذه وتعنى براحة هؤلاء الركاب الذين لا يغادر الواحد منهم الترامواي الا بعد ان يلعنه في نفسه الف لعنة .

على ان هذه الراحة هي حق من حقوقهم التي يجب ان تتوفر لهم فاذا غمطتهم الشركة هذا الحق فلانها تستغل حاجة الناس واضطرارهم اليها في الغالب والمضطر كما يقولون يركب المركب الصعب .

وعلى أية حال فنحن نعرض لشركة النور هنا بعضا من مطالب القوم كما سمعنا منهم راجين ان تعمل العمل السريع الذي يحدث عن اهتمام الشركة بزبائنها على غير ما علق بالنفوس من فكرة الاهمال : وهي ان تجعل الستائر الواقية لركاب الدرجة الثانية وان تعد مقاعد الدرجة الاولى بالمراتب حتى يكون هناك معنى لهذا الفرق بين الاولى والثانية وان تضبط من مواعيد ترموياتها في التابلات أو تتخذ الاشارة الكافية التي تدل على خلو الخط او عدم خلوه حتى لا يلحق الركاب ضرر من فوات اوقاتهم وان تمد من اجل مواعيدها فبدلا من ان ينتهي الترموای في الساعة التاسعة مساء ينبغي ان يسير الى الحادية عشرة مثلا لانه الوقت الذي يمكن ان تقل فيه حركة التنقل وكثيرا ما يضطر بعض الناس للتنقل من الخرطوم الى امدرمان او بالعكس او الى الخرطوم مجرى فلا يجد ترموايا بعد التاسعة وهذا تقصير شديد من جانب الشركة نرجو ان تعمل على تلافيه .

وان تنصح الى مستخدميها ان يكونوا ظرفاء في معاملة الركاب وان يقصروا جهدهم ليضعوا الحد بين الرجال والنساء لان المشاهد الان ان شيئا من هذا لم يعمل به في الترموای . فالنساء ينتشرن

في كل القاعد هنا واحدة وهناك اخرى وهنالك ايضا وذلك ما لا يتفق والكرامة والحياء والدين ـ وان لا تألو جهدا في عمل كل ما يدعو الى الشركة دعاية خيرا من هذه في مقبل الايام .

## الادب القومي والمسرح

( تعليق نشر بمجلة ام درمان )

منذ ان بدأ ادباؤنا القوميون يساهمون بنصيبهم في خلق الحياة الفنية المفرية، ويدفعون بموكبهم الحاشد الى حرم الفنون الرفيعة، ويزاحمون بمناكبهم القوية في معترك التأليف بدأنا نستعرض أدبا يحاول جهده ان يفاجيء سر الحياة في مكمنه الخبيء كما يفعل الادب القومي ، ويستلهم اسرار القلوب ليبعث بها اشخاصا متحركة على خشبة المسرح ، بدأنا نستعرض الروايات التمثيلية بلهجة القوم هنا ولغتهم الدارجة . ولا والله لم تقعد بهم دارجيتها هذه عن تبليغ ما يريدون تبليغه الى الناس .

ولقد حظي محرر هذه المجلة منذ ليال بمشاهدة «بروفه» احدى الروايات القومية واسمها فتاة المستقبل من وضع الشاعر القومي خالد افندي احمد سليمان وتخريج فريق العمدة الرياضي الناهض استعدادا لتمثيلها بنادي عطبره في ٣١ اكتوبر ـ اليوم ـ فلم يسعه الا ان يكتب هذه الكلمة القصيرة افصاحا عن اعجابه مما اصاب شعراؤنا القوميون من توفيق .

وانا لنأمل ان يعمل فريق العمدة في تمثيلها مرات ومرات حتى يشهد القوم هنا من فن الدعاية الحية لتعليم الفتيان والفتيات على السواء ما عساه مجد في لفت نظر الاباء والامهات لضرورة التعليم وتعليم الفتيات بوجه خاص .

## كشف الستار

نشر هذا المقال الاول بمجلة « النهضة السودانية » ـ العدد ٢١ بتاريخ ٢١ـ٢ـ١٩٣٢

وقد علق عليه محرر المجلة المغفور له « محمد عباس ابو الريش بما يلي :

( لا نوافق الكاتب على اعتباره النقد ( في اساسه ) من اعمال التدمير فالنقد ضروري سواء في الاعمال والاراء والاقوال. وكاتب المقال بتصديه للعيوب التي يراها في المجتمع ناقدا قبل ان يكون كاتبا ) .

## توطئة

### (١)

فكرت منذ امد طويل في الكتابة تحت هذا العنوان وقد اخرجت فكرتي الى حيز الوجود واعددت المادة الكافية للموضوع ولكن بعد ما ختمت المقال رميت به في سلة المهملات وخاطبت نفسي قائلا : « مالك والعالم » انك ان نشرت هذا الكلام سوف تقوم حوله ضجة فيمنعك القوم اغماض جفنيك ولكن بعد زمن ليس بالبعيد عدت الى فكرتي الاولى وقلت « دع عنك هذه الشكوك والاوهام واقدم على عملك ولا تبال وما دام القصد نبيلا فلا تأبه بتذمر عمرو ولا بغضب زيد » والكاتب في اعتباري مهما كان ضعيفا فانه افضل بكثير من القارىء الناقد للحقيقة الظاهرة وهي ان الكاتب يجهد نفسه ليدون كل مفيد نافع لعاصريه ورائده في ذلك النفع العام والمصلحة المشتركة لمواطنيه وهذا بخلاف القارىء الناقد الذي يحصر جل فكره لاستخراج التافه من الخطأ والعثور على مواطن الضعف من الآراء والنظريات ثم تجده يلاحظ رفع المبتدأ ونصب المفعول والتعقيد اللفظي . والمعنوي الى غير ذلك من الامور التافهة التي يسهل على الكاتب توقيها ــ هذا فضلا عن ان الكاتب من انصار السياسة الانشائية والعمرانية بينما الناقد هدام من انصار التخريب والتدمير ــ هذا عندنا . وليس معنى ذلك ان نترك النقد جانبا ونهمله ان كان نزيها سيعود علينا بالنفع ونحن وان كنا لا نطالب بالكمال المطلق لانه لله وحده فانا نود ان نكون

بالقرب منه ما استطعنا الى ذلك سبيلا .

وللنقد النزيه فوائد عديدة منها منع الفاسد من الآراء والمبادىء من الانتشار بين الامة حتى لا تتسمم آراؤهم فيعسر علاجهم .

على هذا المبدأ سأبدي آراء وانتقد اخرى اراها غير صالحة وتستحق القتل في مهدها وما دمنا قد عزمنا عزما صادقا على النهضة فان الواجب يقضي علينا بتمحيص الآراء والمبادىء وفحصها تحت شعاع العقل قبل اعتناقها والعمل بها غير اني احذر جميع ابناء وطني من نوع واحد من النقد وهو انتقاد اعمال بعضهم « لأني أكرهه لوجه الله » . هذا ضعف واي ضعف ومعذرة ان سميت ذلك نقدا فما هو الا الحسد بعينه والحسود يبوء بالحسرة والندم ولا يصل بعمله هذا الى سؤدد ولا كرم .

الان اتقدم الى ابناء وطني بالمقال الآتي ملتمسا منهم ان يمعنوا النظر في محتوياته ويحكموا عقولهم لان حكم العقل اصدق وابقى وقد فات الزمن الذي تتحكم فيه العواطف على العقول وانتم على بينة ما تصدره العواطف من احكام قاسية يجدر بكل ما أوتي عقلا حرا وتفكيرا مستقلا ان يتبذها وينبذ اصحابها وما غرضي من هذا المقال الا كشف الستار عن بعض نقائصنا الاجتماعية وتصوير بعض معايبنا الخلقية .

بعد هذه المقدمة الطويلة التي لا مناص من اثباتها اقول :

## اظهار الحقيقة :

نريد اظهار حقيقتنا الاجتماعية والخلقية فنرجع الى الصواب متى وجدنا خطأ اذ « الرجوع الى الحق خير من التمادي في الباطل » وربما اعترض واحد بقوله : «مالك والناس» فالى المواطن الكريم

اوجه هذه العبارة الاخوية : « لقد مضى الزمن الذي لا ينظر فيه الانسان الا لاحواله الشخصية ولا يكترث بما يجره الدهـر من ويلات على صديقه او جاره او مواطنه » . هذا العصر ولى وادبر فعالنا نبعث الموتى من القبور ولم لا نجاري عصرنا فنكون عصريين في متانة اخلاقنا وغزارة معلوماتنا ووفرة آدابنا ونبل عواطفنا واتقان اعمالنا لنكن عصريين عمليا لا تقليديا بلبس القبعات او ارتداء فاخر الثياب ـ كما ذكر احد مواطني من قبل .

لنكن عصريين في ارواحنا فهل في ارواحنا التي خيم عليها البؤس وتملكهـا الجمود ما يبرهن على اننا نتمشى مـع روح القرن العشرين ؟!

لمثل هذا يذوب القلب من كمد فلنقف قليلا كما قال انطونيوس في خطبته على جثة يوليوس قيصر لنقف هنيهة حتى يعود الينـا الرجدان وحتى يرجع الينا الصواب ثم لنفكر في الاسبـاب التي جرت علينا هذه الويلات فاردتنا الى اسفل سافلين فاذا ما وفقنا الى معرفتها فعلى الكل مناوأتها ومحاربتها بكل ما اوتي من شدة وصلابة لان التغاضي عن اسباب الدمار هو عين الدمار .

« ووضع الندى في موضع السيف بالعـلا
مضر كوضع السيـف في موضع النـدى

مهمتنا الان اشهار السيف لمحاربة مواطن الضعف فينا فلنبدأ بشد الطبقات خطرا على مستقبل بلادنا .

**حماة الاخلاق :**

قوم منا اخذوا يتظاهرون بالتقوى والورع جاعلين الدين وسيلة

لبلوغ مآربهم . وقد ساعدناهم على اعمالهم هذه حينا من الدهر اذ كنا نبالغ في احترامهم وكانوا يتمادون في تضليلهم وبهتانهم حتى صاروا يطالبوننا بما لا نطيق حتى اخذوا يحتمون علينا الا ننوه بكلمة عند حضورهم ولا نشعل سيجارة بمرأى منهم لان هذا قد اضحى حقا مقدسا من حقوقهم تحت عنوان « احترام الكبار » ( وتأدب لمن رأى الشمس قبلك ) الى غير ذلك من عبارات التضليل والتلفيق ومن العجيب ان نظل طوال هذه المدة نخضع لهذا الاستبداد ونأتمر بأوامره ونظن ان التحدث في حضرة من هو اكبر منا سنا ضعف اخلاقي يعيبه علينا قانون الاخلاق الكريمة وعليه نشأنا نشأة استعبادية تعوزنا الشجاعة الادبيةوالادلاء بالبراهين المنطقية نتلقى الاوامر والآراء كانما هي وحي يوحي لا كلام انسان معرض للخطأ والصواب كسائر بني الانسان .

اذ لكل عالم هفوة ولا يوجد كائن ملم بكل الامور متقن لكل العلوم ، بارع في الفنون ، يجيب بحكمة ودراية على اي سؤال ( يلقى عليه ) ومن ادعى لنفسه هذه المنزلة فهو غر جاهل يريد التظاهر بما ليس فيه ، لان الانسان مهما تعلم وتثقف لا يتسنى له ان يحيط بكل شيء علما وقد قال فولتير : « لا يجيب انسان على كل ما يوجه اليه من الاسئلة في مختلف العلوم والفنون الا اذا كان غرا جاهلا يريد التظاهر بما ليس فيه لان الرجل مهما تثقف وتعلم فانه جد عاجز عن معرفة كل شيء .

حماة الاخلاق هؤلاء يتوارون تحت ثياب صارت الان بالية بعد ان خدعونا بها طوال السنين اما الان فقد جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا .

والحق يعلو ولا يعلى عليه . وهو خالد لا يدركه الفناء .

تراهم يتظاهرون بالعلم والورع والتقوى وليتهم فعلوا ذلك وكفونا شرهم انهم اعداء كل جديد نافع انصار كل قديم بال فمن اراد التفكير الحر أو حتى الشبيه بالحر عدوه ملحدا ومن ناقشهم فكرة او أبدى لهم رأيا قالوا عنه « انه قليل أدب » يحكمون بهذه الاحكام القاسية وهم عن عيونهم غافلون وفي ضلالهم يعمهـون وعن حقيقة انفسهم لاهون . انك ان تراهم وتعجبك اجسامهم اما اقوالهم واراؤهم فمن الفائدة مجردة ومن الحكمة خالية ، عجيب ان ادعوهم حماة الاخلاق ولكن لا بد لنا ان نتساءل عن مصدر هذه التسمية التي نالوها عن جدارة واستحقاق !!

نعم ندعوهم حماة الاخلاق لانهم لا يبحثون ولا يتحادثـون في تدهور اخلاق الشبان وفسادها وليتهم ضربوا لنا الامثال الحكيمة وبينوا لنا سبل الرشاد حتى نهتدي بهداهم . لم يفعلوا شيئا من ذلك بل تجدهم يبحثون عن قلة ادب هذا وعن سوء اخلاق ذاك وعن الحاد ثالث ومسمعة رابع الى ما لا نهاية له وهكذا كل القوم لا اخلاق لهم اللهم الا اصحابنا حماة الاخلاق !!

ان التقدم في السـن وزيادة الراتب الشهري الى غير ذلك مـن الاعتبارات البسيطة يجب الا نجعلهـا مقياسا للرجال وسبيـلا لتعظيمهم واجلالهم فعلينا ان نقيس الرجال حقا حتى نعرف الصالح من الطالح فننزل كلا منزلته اللائقة به وعلينا ان نبتعد كما يبتعد السليم من الاجرب عن كل منافق دجال وننفر من كل كذاب أشر .

انهم حماة الدين ، انهم واضعوا اساس علم الاخلاق، انهم انصار الفضيلة ، نقبل كل ذلك ونقره لو وجدنا من اعمالهم ما يؤيد اقوالهم والحق «ان بين القول والعمل محيط» كما يقول الايطاليون فالى اولئك القوم اوجه السؤال أنظرتم الى انفسكم وجردتموها

سن آثامها وموبقاتها اولا ثم طرقتم باب الاصلاح ؟

انما تسيئون بعملكم هذا اساءة بليغة الى الاصلاح واهله ، وانكم تسيئون للدين وانتم حماته كما تزعمون ، وهادموا اركانه وتعاليمه كما تبرهنون باعمالكم ولست القي الكلام جزافا واسوق الحديث ملفقا ، بل عندي من البراهين الساطعة ما يجعلني اكتب بكل ثقة معززا ما اكتب بحوادث واقعية تدلنا على عدم صلاحية من كنا حتى الامس القريب نعدهم في مقدمة ابناء هذه البلاد ولكن اختباراتنا على قلتها ويقظتنا الاخيرة مكنتنا من الوقوف على سوء نية اولئك القوم الذين نرجو ان يقلعوا عما تعودوه مهما اعترضتهم المصاعب حتى تردهم الامة الى مصاف ابنائها العاملين الذين اخذوا على عاتقهم ان يخدموها خدمة صادقة مضحين في سبيل ذلك بالنفس والنفيس .

## كشف الستار

## (٣)

« نشر بمجلة النهضة في ٦ـ٣ـ١٩٣٢ بالعدد ٢٣ »

**الموقف المشرف :**

قد عرفنا مما تقدم حقيقة طبقة كنا حتى الامس القريب نعدها في مصاف العظماء . أما وقد تبين لنا أمر اولئك القوم جليا فيجدر بنا ان نفكر في موقفنا ازاءهم وان نرسم خطة حكيمة نسير بموجبها فاقول : علينا ان نحتقر ما يظهرون به من زهد ملعون بل واجبنا ان نستكثر عليهم حتى الاحتقار والاضطهاد وانه لمن الخطل في الرأي ان نعتبر لمثل هؤلاء عقولا راجحة بل ولو سلمنا جدلا بعقلياتهم فانهم لا يستعملونها الا في طريق معكوس ويستخدمونها لنيل اغراضهم الفردية ضاربين بمصالح بلادهم عرض الحائط يشقون الظهور ويحبون الشهرة حبا جما ولكنهم يمقتون الشرف ويعادون العمل فلا يمكنهم بلوغ امانيهم والعثور على ضالتهم الا على اكتاف مواطنيهم وعلى حساب الغير .

لقد عرفنا شهرتكم المزيفة التي توصلتم اليها بفضل اعمالكم المتقنة وعقولكم الراجحة !! ولكن شئنا ان ندعوها باسم اخر ـ

مدفوعين بالحسد كما تظنون ـ فنقول انها الدناءة بعينها والرذيلة مجسمة تريدون العلو بوسيلتكم الخاصة . وهو وايم الحق عين النزول .

وما اشد اعجابي بقول شاعر سوداني محب لوطنه يغار عليه ويحرص حرصا شديدا على نفعه وقد قال بيتا من الشعر يصف فيه هذه الطبقة المولودة وكثيرا ما كنت اردد هذا البيت وكثيرا ما كان يردده احد اصدقائي واني لاعلم مقدار وطنية هذا الصديق الذي هامت نفسه بحب بلاده .

قال شاعرنا :

ان الترقي الى العليا بلا ثمن
هو التولي عن العلياء بالثمن

ما لهم والعلياء يريدون حفظ انفسهم وهم ضعيفو النفوس قليلو المعلومات ولكنهم مع ذلك طامحون لهم مثل اعلى في الحياة فهل نلومهم ان سعوا الى تحقيقه عن اقرب سبيل ؟

سيروا في سيرتكم فانكم غير ملومين ولكن اخبرتكم من قبل ان الطريق الى المجد وعر شائك فاعتذرتم وقلتم لا حيلة لنا بتجشم المصاعب وركوب الاهوال وفضلتم الغيبة والنميمة والرياء والملق والكذب وما دامت هذه الصفات توصلكم الى غايتكم في الحياة فلا تثريب عليكم ان اتصفتم بها سواء حرمها الدين ام اجازها .

اخواني ، مواطني ، هذه اعمال بسيطة طريقها سهل لا تكتنفه وعورة ولا يتطلب مغامرات ولكن دونها سلب العرض دونها قتل الشعور دونها موت النفس دونها بيع الضمير والاتجار بماء الوجه وصوت الشباب يرتفع مرددا :

« ولكن ماء الوجه عندي غالي »

ثم يردد قول الشاعر

اذا انا لم ارفع الى المجد امتى  فلا عزني خال ولا ضمني أب

هذا هو الموقف المشرف الذي يجب ان يقفه الشبان مهما لاقوا في سبيله من عنت العابثين وظلم الظالمين ــ الاحتفاظ بالكرامة النفسية وان كان في تمسك المرء بكرامته وصونه لعرضه واتباعه لما يوحيه اليه ضميره عناد الحاد فليعلم الملأ وليسجل التاريخ اني اول المعاندين وشيخ الملحدين !!

## مقياس الشباب عندهم :

الخامل من الشبان الذي يخضع لآرائهم وينصت لكلامهم كأنما هو في حضرة انبياء مرسلين لا بشر مثله يخطئون ويصيبون هذا الذي وصفت لم يختر هذا الموقف الا لجهله وضيق معلوماته فانه لا يملك ما يقول فماذا يقول ؟

مثل هذا الشاب في نظر سادتنا كريم الاخلاق واثق من علمه « لان الصمت زين » .

وهو حسن التربية مؤدب ويجب على الشبان قاطبة ان يحذوا حذوه وينسجوا على منواله وكثيرا ما دهش بعض الشبان وعندما يوصيه احد الادباء بتقليد ذلك الشاب الخامل الذي عرفه في الحياتين المدرسية والعملية فلم يجد فيه صفة من صفات الكمال والرجولة حتى يقلده فيها واخيرا يشتد حنقه على هذه الحياة ويقول :

خلق الزمان عداوة الاحرار .

رأينا حكمهم على الشاب الخامل وحبهم له ودعايتهم لمبدئه في الحياة او بالاحرى لتجرده عن ان مبدأ في الحياة اللهم الا ان تعد الاكل والشرب الى غير ذلك من الحركات الميكانيكية التي لا تحتاج الى اجهاد ولا تفكير مبادىء سامية .

أما الشاب صاحب الرأي السديد والمبدأ القويم ذلك الشاب الذي توصل بفضل اجتهاده واطلاعه على القيم من الآراء واستيعابه لها والذي كون نفسه بنفسه ولم يقنع بالقليل من حطام الدنيا الزائل بل عشق الحرية والجمال عن خبرة وتغنى بهما عن اساتذة عرفوا الحياة حق المعرفة فظهر له خطأ مذهبهم وطيش اقوالهم ثم حاول ان يردهم الى الصواب بالتي هي أحسن ولكن دون ملق ولا رياء بل بالصراحة المعهودة التي افعم بها قلب كل من عرف فن الحياة .

مثل هذا الشاب الذي كون بكثرة اطلاعه على الآراء القيمة رأيا مستقلا ثم تأكد من سداد رأيه بالتجربة والاختبار فثبت عليه ولم يرض عنه بديلا ــ هذا الشاب قليل ادب ان تسامحوا معه ومدع للفلسفة ان تملقوه وملحد ــ والعياذ بالله ــ ان انصفوه !

احاكم يا قوم جائرة قاسية لا يقبلها عقل ولا يجيزها منطق فاحكموا بالعدل ولا تبخسوا الناس اشياءهم وخير لنا ان نحيا حياة فوضى من ان نلجأ الى الاحتكام عندكم فنحن الان لا نؤمن بتفكيركم المعكوس واني لمن عرف الحقيقة ان يتحول عنها الى الباطل وهل يسعى الى الظلام من وصل الى النور ؟

ومن درس الحكمة لا يخدعه الجاهلون ولا يضله الضالون .

سنسبر غور الحياة بدون الاستنارة بآرائكم لانكم لم تغامروا حتى تعرفوا الحياة الحقة ونود أن نسلك سبيلا وعرا يوصلنا الى المجد والسؤدد لان سبلكم سهلة كما ذكرت لن نرضى بها لان مرمانا يختلف عن مرماكم كثير .

« ومن طلب العلا سهر الليالي » .

## الفوز لمن ؟ :

فالشاب السوداني احد رجلين اما ان يخضع لاختبارات اجريت في عهد مظلم ويتمسك بآراء اكل الدهر عليها وشرب ليحفظ مركزه الادبي ويذكر اسمه مقرونا بالدعاء الطيب والتوسلات لله أن يكلأه بعين رعايته وبذلك يتجنب سخط الساخطين ويأمن من تذمر المتذمرين فيعيش في حصن حصين من الدعة والطمأنينة اما ان يسلك هذا السبيل او يتمسك بمبدأ شريف ويتفانى في تحقيقه مهما كلفه ذلك من التعب ومهما جر عليه من الرزايا ثم يرسم لنفسه خطة قويمة تقربه رويدا رويدا من مثله الاعلى — ويجب ان يكون لكل شاب ناهض مثل اعلى يسعى الى التقرب منه مضحيا في سبيل ذلك بكل محبوب نفيس — دون الشاب احد امرين فليختر لنفسه ما يحلو .

اما رأيي فان البون شاسع والفرق عظيم بين الشابين فالاول جبان رعديد همه في الحياة حفظ السمعة ولو من رجل الشوارع الذي لا يفرق الضار والنافع والغث والثمين فضلا عن كونه ذنب لا رأي له بل تابع مقلد لمن سبق وصفهم وعرفت طريق تفكيرهم ونظرهم الى الحياة .

واذا كان الغراب دليل قوم ...

أما الثاني فهو الذي تنظر اليه بلاده متلهفة وهي في اشد الحاجة الى امثاله وارجو الاكثار منهم حتى ينتشلوها من البلوى التي حلت بها ويقودوا سفينتها بجرأة وحكمة حتى ترسو بهم عند ساحل النجاة والسلام وقد نلاحظ تكاثر هذا النوع من الشبان الذين اخذوا على عاتقهم ان يقدموا كل تضحية في سبيل رفع مستوى وطنهم المادي والادبي كما اني بهذه المناسبة يجب على ألا اهمل بعض شيوخنا الذين ارجو الا يعتبروا تلك الحملة عامة فما هي الا لفئة موبوءة اسأل الله ان يشفيها من امراضها الكثيرة لاننا نتوق لكل ما يرفع مستوانا الاخلاقي وفي انتشال تلك الطبقة وعودتها الى المجتمع سليمة لا سقيمة نفع بليغ لا يعادلـه نفع وعليه ارفع صوتي عاليا الى الفئة الصالحة منهم ان تهديهم الى سواء السبيل وبما ان شبيه الشيء منجذب اليه فاني واثق ان نصح آبائنا لبعضهم سيكون اجدى وانفع وليعلموا ان ابناءهم الذين تسامحوا اجيالا ضاق صدرهم ولم يلق التسامح لديهم مكانا فليعذرونا اذ التبعة عليهم .

لنعد الى الشبان ولنفكر قليلا في امرهم ثم لننظر لمن كانت الغلبة في النهاية ــ هل نال الخلود المذبذب المرائي ام الحر الصريح ولمن كان الظفر لمن تملق وكذب أو من تمسك بمبدئه وصدقه ،للذنب المجرور او للرأس المرفوع ؟

تاريخ البشر على مختلف اقسامه يجيبنا بأنه لا يفوز بالظفر ولا يلوذ بالخلود الا القوي الجسور ومن طلبه من باب الدعة والاستكانة فقد بنى رجاءه على شفير هاوية .

وسنضرب بعض الامثلة من التاريخ الادبي او تاريخ تحرير الفكر البشري حتى نقف على ما قاساه دعاة تحرير الفكر من اهوال وعذاب وتنكيل من معاصريهم ثم نرى حكم التاريخ وانصافه لهم وتخليد اسمائهم ومنتجات عقولهم وغرضنا من ذلك شحذ الهمم العالية من ابناء هذا القطر حتى يلقي كل بدلوه عسى ان تجيء بكثير من الماء القراح حتى يرد منهله مواطنوه المتعطشون للمعرفة الظمأى للحكمة وأملي ان اوفق الى ذلك في مقال تال ...

( انتهى )

# المراجع

# أهم مراجع الكتاب


١ ـ التجاني شاعر الجمال ـ للدكتور عبد المجيد عابدين ( الطبعة الثالثة )

٢ ـ تاريخ الثقافة العربية في السودان للدكتور عابدين (الطبعة الاولى )

٣ ـ دراسات في شعر التجاني ـ لجماعة الادب السوداني ( الطبعة الاولى )

٤ ـ مسائل في النقد ـ عز الدين الامين

٥ ـ روائع شعراء الجيل ـ محمد فهمي

٦ ـ شعراء مجددون ـ مصطفى عبد اللطيف السمرتي

٧ ـ النقد الادبي ـ أحمد امين

٨ ـ الشعر الحديث في السودان ـ الدكتور محمد ابرهيم الشوش

٩ ـ الطبيعة في شعر المهجر ـ أنس داود

١٠ـ محاولات في النقد ـ محمد محمد علي

١١ـ الشاعران المتشابهان ـ ابو القاسم محمد بدري

١٢ـ الشابي ـ الدكتور عمر فروخ

١٣ـ الشعر الحديث في السودان ـ عبده بدوي

١٤ـ ملامح من المجتمع السوداني ـ حسن نجيله ( الطبعة الثانية )

١٥ـ موت دنيا ـ محمد احمد محجوب وعبد الحليم محمد

١٦ـ سوق الذكريات ـ سليمان كشة

١٧ـ الحياة الروحية في الاسلام ـ محمد مصطفى حلمي

اعداد متفرقة من الجريدة التجارية ، وملتقى النهرين ، والفجر ، والنهضة السودانية ، ومعهد ام درمان ، وام درمان وابولو والرسالة .

# فهرس الكتاب


| | | صفحة |
|---|---|---|
| الفصل الاول | اشراقه | ٣ |
| الفصل الثاني | اضواء على اشراقه | ١٣ |
| الفصل الثالث | نشأته وثقافته وصفاته | ١٨ |
| الفصل الرابع | مرض الشاعر | ٣٥ |
| الفصل الخامس | الوجدان الاجتماعي | ٣٨ |
| الفصل السادس | الحرمان في شعره | ٤٦ |
| الفصل السابع | بين الايمان والشدة | ٦٠ |
| الفصل الثامن | الطبيعة في شعره | ٧٤ |
| الفصل التاسع | الحب في شعره | ٨٤ |
| الفصل العاشر | الغموض في شعره | ٩٤ |
| الفصل الحادي عشر | نثر التجاني | ١٠٠ |
| الفصل الثاني عشر | منتخبات من نثره | ١١٦ |

مطابع دار الثقافة
سميا

PURCHASED FOR THE

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

FROM THE

CANADA COUNCIL SPECIAL GRANT

FOR

ISLAMIC STUDIES

3 1761 05610586 9

PJ
7864
I33Z8